سلسلة

قصص وحكايات

لوحة: مصطفى عوطيفي

العدد

الثاني

مجموعة مؤلفين

دار قصص وحكايات للنشر الالكتروني 2019

قصص وحكايات

مجموعة قصصية

العدد الثاني

مجموعة مؤلفين

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني

البريد الإلكتروني

kesasandhekayatpub@gmail.com

موقع الدار

https://kesasandhekayatpub.blogspot.com/

للتواصل عبر ماسنجر صفحة الدار

m.me/kesasandhekayat

فريق عمل الدار

أ. رمضان سلمي برقي

أ. حسن كشاف

أ. هشام وهبي

العنوان: قصص وحكايات

النوع الأدبي: مجموعة قصصية

المؤلف: مجموعة مُبدعين

تدقيق لغوي ومراجعة: فريق عمل الدار

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج: فريق عمل الدار

تصميم الغُلاف: فريق عمل الدار

سنة النشر: 2019

الحالة: حصرياً

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 22

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2019

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

فهرس القصص

مقدمة ٧

مرآة كاذبة .. هشام وهبي .. المغرب ٩

عزيزتي نايا .. براءة محمد علقم .. الأردن ١٦

حُب إلكتروني .. رمضان سلمي برقي .. مصر ٢٢

مائدة إلى السّماء .. صباح دهيلس .. الجزائر ٣٦

أوتار الحزن .. زكرياء الحداد .. المغرب ٣٨

أحلام لم يعرفها أحد .. سَلمى محمود حامد .. مصر ٤٦

مِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ .. حسن كشاف .. المغرب ٥٤

فنجان قهوة .. صليحة حمودي .. الجزائر ٥٨

سحرة فرعون .. عبدالله محمد عبدالله .. مصر ٦١

للخيانة وجه آخر .. فاطمة السادات .. مصر ٧٠

مصادفة .. مؤمن محمود محمد .. مصر ٧٦

قوارب الموت .. محمد الربعي .. تونس ٧٨

لعنة الصاما .. هارون قاسمي .. الجزائر ٨٢

جاك السفّاح .. داود سعيد .. الجزائر..... ٩٥

أفكار مرهقة .. محمد الصديق منيخ .. الجزائر..... ١٠٠

عُد كما كنت غريبًا .. ياسمين البطل محمد .. مصر ١٠٤

مجرد شبه .. سهام النجمي .. المغرب..... ١١٣

مجانين لكن ظرفاء .. جيهان دانيال .. تونس..... ١٢٩

مجرّد جثّة .. دعاء جقريف .. الجزائر..... ١٤٦

تغريدة حب .. ريان العيدون .. الجزائر..... ١٥١

هذه ليست حياة .. نجوى خالد .. الجزائر..... ١٦١

انتخابات جسد .. خالد حمدي .. مصر ١٦٤

مشروع تخرج .. أحمد صلاح .. مصر..... ١٧٢

مقدمة

لطالما كان الحكي حاجة إنسانية "ملحة" قد توازي الحاجات الأخرى التي لا يستقيم عيش الإنسان دونها، وهكذا فما أن يتعلم الطفل الكلام يواجهك بهذا الطلب "احك لي حكاية"، فيعمل منذ ذلك الحين على إشباع حاجته تلك من مصادر مختلفة ..

لقد تطورت أنواع الحكي إلى أنماط مختلفة، خلق كل منها لنفسه فضاءاته وصياغته المميزة، لكن ظلت "الحاجة" إلى الحكي دائما قائمة رغم تنوع مصادره وأشكاله. ولئن كان نمط الحكاية التقليدي قد استنفد أساليبه، فإن جنس القصة يحتفظ أكثر براهنيته وذلك لخصائصه الفنية النوعية، حيث يشتغل كاتبها على عناصر بنيوية مركزية، كاللغة بتركيبها وحروفها وإيقاعها.. والبداية والنهاية... فيخلق فضاء جماليا متناسقا تغذيه العلاقات التي تنشأ بين تضام هذه الأجزاء والعناصر، مما يمكن من تشكيل فضاء رحب من الإيحاءات والدلالات المكثفة.

وبحكم هذا التوجه الفني المميز، تخلت القصة عن مركزية الحدث وسلطة الموضوع، ف"جوهر القصة ولبها ليس هو ما يحدث إنما هو إماطة اللثام عن الدلالة الكبيرة لما يحدث.." كما يقول شون أوفولين، لكن السؤال هو ماذا تعني الدلالة هنا؟كيف يحددها الكاتب؟ وهل هذه الدلالة ستغني السرد أم ستحد من تلقائيته؟

يبدو هذا السؤال عصيا على الإجابة ربما، وذلك لأن مثل هذه الدلالة تدخل نفسها ضمن خانة اللا محدد ولا يمكن تلقينها، فهي ترتبط بموهبة الكاتب وحسه الفني. فالقصة في عمقها لا تحكي شيئا ذا بال، لكنها تحكي الحياة بتفاصيلها الدقيقة وتناقضاتها الملحة.

تحتفي **دار قصص وحكايات للنشر–منذ بدايتها وإصدارها العدد الأول من القصص المجمعة– بالقصة وكتابها، عبر الاشتغال على هذا الجنس الأدبي بالنشر والنقد ...وقد كان أملها منذ تأسيسها، أن تشكل فضاء أدبيا يحتفي بأنماط الحكي المختلفة بما فيها القصة، ويفتح المجال واسعا للمهتمين بهذا الشأن كتابا ونقادا ودارسين، لجعل الحكي والفن عامة –بمقوماته الحقة– حاجة متاحة ومثمرة.**

ويشمل هذا الإصدار الجديد قصص كتاب شباب من العالم العربي، اختلفت توجهاتهم الفكرية وانتماءاتهم الجغرافية والثقافية. وقد تنوعت طرائق السرد لديهم وتنوعت، بين من يمتح من الواقع ويراهن على المشهد والحدث، ومن يعبر بأسلوب غنائي شاعري صرف، ورغم ذلك فقد وحدهم عالم القصة المثير والمغري، ففتحت نصوصهم أفقا فنيا شفيفا من التعبير وخلقت فضاء رحبا للحوار.

الناقد الأدبي أ: هشام وهبي

مرآة كاذبة .. هشام وهبي .. المغرب

سار به صاحب محل التصوير الفوتوغرافي إلى غرفة التصوير، ثم أشار إليه بالجلوس قائلا:

– تفضّل... سأعود حال.ا

كانت غرفة مزينة ومليئة بالديكورات المختلفة للتصوير؛ أزهار، كراسي مختلفة الأحجام والأشكال، رسوم للطبيعة على الحيطان، مرايا...

عاد بآلة التصوير، واتجه إليه يعدل من وضع رأسه وكتفيه، ينحني قليلا للتأكد من ثبات وضعه، ثم يعود بضع خطوات للوراء، ويمسك بآلة التصوير: تشك.. ثم يبرز منها ضوء خاطف مرتين أو ثلاثا، ينظر إلى الصورة المجسَّدة على شاشة الآلة، وسرعان ما تتغير ملامحه، ينقل نظره بين الصورة وبين الشخص الماثل أمامه، ثم يقطب جبينه:

– عفوا.. سنعيد الكرة إذا سمحت..

– طبعا.. طبعا..

عدل من وضعه مجددا في حركات روتينية، ثم عاد إلى مكانه مجددا، أمسك الآلة.. ثم: تشك.. ظهر الضوء الخاطف مجددا، وانحنى على الآلة يفحصها من جديد، ظهر على ملامحه بعض الاستغراب، فبدأ يعبث بأزرار الآلة مقلبا إياها ذات اليمين وذات الشمال،

وهو جالس في كرسيه ينظر إليه في تساؤل.. وأخيرا بعد فحص الآلة، يبتسم له في ود قائلا:

– لابد أن هناك خللا ما.. لا تقلق.. سنعيد الكرة.. استعد

يعدل وضعه الذي تدرب عليه بشكل روتيني، ويرفع رأسه مثبتا عينيه على الدائرة الصغيرة التي تتوسط آلة التصوير، وفجأة يغمره الضوء الخاطف، ويبقى على وضعه لثوان، حتى يسحب آلته ويبدأ في فحصها من جديد بحيرة..

– هل هناك مشكل ما..؟

– لا... لا تقلق.. ابق هنا سأعود حالا..

غاب للحظات، ليعود بعدها حاملا آلة تصوير أخرى، وهو يقول مبررا موقفه:

– لا شك أن هناك خللا في الآلة وقد غيرتها، استعد..

ضغط زر التصوير.. حاول ثانية وثالثة، لكن المشكل ظل قائما؛ في كل مرة ينقل بصره بين الصورة والشخص، ويقع في حيرة شديدة.. ثم يخاطبه أخيرا في استسلام:

– لا أدري ما الذي حصل لهذه الآلات اليوم..؟

ينهض في هدوء، وقد استقرت في ملامحه آيات الغضب:

– هل هذا معقول..؟ منذ نصف ساعة، وأنا ثابت في مكاني كالتمثال، ولم تستطع التقاط صورة واحدة لي.. ما هذا المحل السخيف..؟

خرج غاضبا وهو يصفق الباب بعنف، ثم قرر التوجه إلى بيته، قبل أن يبحث عن محل تصوير آخر، فقطع الشارع ثم سار في الجهة المقابلة.

وقف أمام باب بيته وتحسس جيبه، ليكتشف أنه لم يكن يحمل المفاتيح.. ضغط زر الجرس وانتظر، فتح الباب بهدوء.. أطلت زوجته ناظرة إليه في تساؤل..

– "ماذا..؟ ألن تفتحي.. !؟ أتتركين زوجك واقفا بالباب؟

نظرت إليه مستغربة، ثم أحكمت الإمساك بطرف الباب:

– زوجي.. !؟ اذهب من هنا وإلا استدعيت لك الشرطة..

– ماذا تقولين.. أنا زوجك.. هل جننت.. !؟

– قلت لك اذهب..

– ما هذا المزاح السخيف.. !!؟ ألم تلحي علي لأعود وقت الغذاء.. وقد عدت من محل التصوير لهذا الغرض، فلا تجعليني أجوع أكثر..

نظرت إليه في دهشة، وهي تلحظ ملابسه وهيئته، وقد بدا عليها تصديق قوله، لكن سرعان ما عادت الصرامة والغضب إلى ملامحها:

– أقسم إن لمست هذا الباب مجددا.. سأستدعي الشرطة..

ثم أغلقت الباب في وجهه بعنف. ناداها في يأس، وهو يضرب الباب بكلتا كفيه، وكأنه لم يسمع قولها. وعندما زايلته الدهشة بعد لحظة تحسس جيوبه في سرعة وتوتر، باحثا عن هاتفه النقال، لكنه تذكر أنه نسيه مع المفاتيح في المنزل.

وقف قرب الباب يائسا، يفكر بحيرة في أمره، وعما يمكن أن يكون قد حصل لزوجته.. هل جنت فعلا؟ أيستدعي لها طبيبا؟ لكن سرعان ما طرد عنه أفكاره تلك، وتشجع مجددا كأن شيئا لم يحدث، وطرق الباب طرقتين خفيفتين ثم انتظر.. طرق الباب بقوة أكبر.. لا مجيب. ضغط زر الجرس، وتحسس بأذنه قليلا، ثم سمع رنين هاتفه بالداخل.. لابد أن زوجته تتصل به، و ها هي تكتشف أنه لم يحمل هاتفه.. اتسعت عيناه لما يعنيه الموقف، إذن فهي لا تصدق أنه هو، وتتصل باحثة عنه.

وضع إصبعه لفترة طويلة على زر الجرس، ثم انفتح الباب فجأة عن صراخها وزعيقها:

– ألم أحذرك..؟؟ ألم آمرك بالانصراف.. أيها النصاب..

حاول الإمساك بها وهو يقول:

– ما الذي جرى لك..؟ اهدئي..

– لا تلمسني.. لا تلمسني..

ويبدو أن صراخها وصل إلى الشقة المجاورة، فقد خرج منها رجل بزيه المنزلي متوجها إليهما قائلا:

– ما الذي يجري؟..

– هذا الأحمق يدعي بوقاحة أنه زوجي، ولا يريد المغادرة..

نظر إليه مستغربا:

– زوجك.. !؟

ثم استدرك، محاولا رسم صورة الجار المثالي:

– قالت لك اذهب.. هيا تحرك دون مشاكل..

لم يعد يتحمل الموقف كلية، لذلك صرخ في وجهه بعنف:

– ومن أنت أيها الأحمق حتى تطردني من منزلي..؟

– منزلك !؟.. أنت فعلا نصاب وقح..

لم يدر إلا ويده تنزل على قفا الجار في سرعة وقوة.. ترنح حتى اقترب جسده من الأدراج القريبة، توجه إليه في غضب، ودفعه برجله دفعة أسقطته على الدرج، وبقع الدم بدأت تتناثر حوله، وهو يئن في ألم. تجمد في مكانه للحظات، ثم سمع ضجة قادمة من أعلى،

وزوجته لا تكف عن الصراخ، أفاق من ذهوله فجأة ليدرك دقة الموقف، ثم قفز نازلا بسرعة وخوف.

بعد لحظات كان يسير في الشارع بعيدا عن منزله، يفكر في موقفه غائبا عما حوله، ثم حانت منه التفاتة نحو واجهة محل لبيع الملابس.. ثبت في مكانه مدهوشا، ينظر إلى الصورة المنعكسة على زجاج المحل:

– ما.. ماذا أرى..؟

حرك رأسه عدة مرات، أغلق عينيه ثم فتحهما لكن الحيرة ظلت ترافقه، تحرك صوب سيارة مركونة قرب المحل، نظر عبر زجاجها ليرى صورة وجهه، فارتد ذاهلا، نظر عبر زجاج سيارة ثانية وثالثة دون جدوى، عاد إلى المحل، واقتحمه في سرعة وتوتر. قصد غرفة تبديل الملابس، وهو لا يلتفت إلى البائع الذي يلح في سؤاله:

– إلى أين يا سيد.. هل من خدمة؟

دخل الغرفة ووقف أمام المرآة الطويلة الناصعة، نظر إلى الصورة المنعكسة فيها وكأنه ينظر إلى شخص آخر، أين اختفت العينان الصغيرتان ذواتا النظرة الحادة..؟ والشفتان الدقيقتان والأنف المعقوف؟ بل.. ما هذا الشعر الفاحم المجعد..؟.

أفاق من ذهوله وتأملاته، بعد أن هزه صاحب المحل هزات خفيفة، طالبا منه مغادرة المحل وهو يتمتم:

– إني.. إني لست أنا..

بدأ همسه يتعاظم وهو يقف في الشارع، الناس ينظرون إليه في حذر، فجأة يصبح همسه صراخا:

– مالكم تنظرون إلي.. !؟ لست أنا.. لست أنا..

عزيزتي نايا .. براءة محمد علقم .. الأردن

عزيزتي نايا؟ لم أكن أعرف بأن المسافات خلف صدري ستؤلمني بعد رؤيتكِ إلى هذا الحد. منذ فترة طويل وأنا أحلم بطيفكِ وأقبّله ليحتويني ويحملني كطفل صغير إليكِ.

آه يا عزيزتي! من منهم سيشعر بذاك الألم الذي يعتصر عظامي ويحطِّم محاجر فؤادي، وأنا أجلس مرتجف الجسد، هزيل القوام في تلك البقعة المنفيّة خارج بلادي.

وحيدًا لا أجد ما أتكئ به على مشارف وحدتي، سوى وجهكِ الملائكي الذي يظهر جليًا أمامي في كل لحظة، فيتبعها نفس شهيق وزفير مني. وأنا أشرب القهوة، تظهر عليها ملامحكِ مسرعةً لتخبرني؛ أنها مُرّة كملح أجاج؛ دون مذاق شفتيكِ.

أقف إلى المرآة؛ تبدأ باللمعان عيني الموشحة بالسواد، عندما أرى في حدقاتها كواكب عينيكِ. أقاسي يومي وأنا أفكِّر بكِ طيلة النهار، وأقول في نفسي والحزن يشاطر شفتيّ: كيف لنرجسة مثلكِ أن لا تزداد جمالًا يومًا بعد يوم؟ لكنك بعيدة عني يا لسوء حظي! فأركض مسرعًا إلى حديقة منزلي، لأقبِّل وأحتضن كل نرجسة برعتْ في تقليد ملامحكِ! وعلى هذا الحال أصبح وأمسي إلى أن يأتي الليل، فتبدأ افكاري بالتمتمة لوسادتي عنكِ، فتغار منكِ وتدفع بالنوم بعيدًا عني، لأحملق في سقف غرفتي التي حفِظت كل شغفي بكِ.

حتى جماداتي تسألني: أين هي؟ اشتاقت للمسة أناملكِ!

ويبدأ الصداع بالتخييم في رأسي؛ إلى أن يتنفَّس صدر الفجر فينشرح صدري. وأنا أناغي اسمكِ كالصغار، واقفًا بالشرفة أصافح نسمات الهواء النقي الذي يشبه قلبكِ، وزقزقة الطيور التي تحمل في نغمها أوتار صوتكِ.

آه يا عصفورتي كم أشتاقك وألعن كل صبيحة ومساء حدود بلاد وأنظمة مستبدّة حرمتني منكِ. وأعود بعد ركل هذا العالم القبيح بلعنة إلى سريري؛ أطم رأسي، وأغلقه بوجهكِ الطفولي وهو يداعب أحلامي، وأغفو وأنا انتصر لنفسي من هذه الدنيا؛ بحلم بكِ.

عزيزتي نايا؛ الشوق هنا يكبر ولا يموت، وروزنامة العمر تسقط ورقة تلو الأخرى، ومازلتُ أنتظرك، عند نافذتي كل يوم وأزيِّن شعري، وأرشُ عطري، ثم أكذِب على نفسي، وأقول لها بأنك حاضرة. أعُدّ الساعات فتصبح مملّة رتيبة، لسان حالها يقول: ألف! متى ستأتي..؟! ويخفق قلبي وهو يعصف بصدري كريح عاتية؛ تقتلع كل حباله المضيئة، فيطفئ وأنطفئ وأغفو عند النافذة، وأنا أراقب طيفكِ علّه يحن على عتبات روحي ويطل عليها.

يقتلني بعدكِ وأكره كل شيء حولي! ألم تسأمي من بعدكِ عني أيضًا؟! الليل يغتالني في كل يوم ألف مرّة، وبصيص النور تبدّد في عينيّ، والعتمة تغشى كل مفصل من مفاصلي.

قاسية أنتِ يا نايا، كقسوة الشتاء على فقير تأرصفت قدماه من كثرة الصقيع. قاسية أنتِ؛ كخيمة لاجئ بالية تستر عوراته ولا تستر سوءات الشتاء، وتفضح كل شيء عند أول نزول للمطر.

لم أنتِ قاسية لهذا الحد؟! ولقد لخصت بك.

حاء الحب وباء البسمة المسلوبة من الوطن وكاف الكرامة في المنفى. قاسية أنتِ يا عزيزتي والوقت ينقلب علي؛ يقف بصالحكِ؛ يسعف كبرياء صمتكِ، ولا تبرأ منه جراح صرخاتي.

نسيت أن أخبركِ البارحة لماذا أسميتكِ نايا؟ لطالما تساءلَتْ نجوم ليلي عن ذلك فخشيت أن أخبرها قبل أن أخبرك بأنك غزالتي الصغيرة. هذا الاسم الذي حملته في قلبي لك، عندما رأيت عينيكِ اللتين تغرقان ببن العراقة العتيقة والسراديق المشرقة.

شيء ما لامس قلبي، وأخبرني بأنكِ نايا غزالتي الشاردة الفطنة التي أسرَّتْ جوارحي، واتسعتْ لها شراع مركبي، وذراعي صدري بوسع عينيها. غزالة متمايلة كغصن البان؛ غضّة تموج كما تموج الشواطئ على خاصرة البحار.

كنتُ تائها في المنفى دون عينيكِ، وفراسة أفكاركِ، ورقص نبضكِ. كنت يتيمًا يفقد أمه الحنون، متسولًا يبحث عن كسرة سعادة! لكني اليوم أحمل في فؤادي الخارطة والوطن. لا تبخلي علي بشتائل رسائلكِ؛ فلقد غرستُ آخر أقوالكِ في روحي، ومازال عبيرها عالقًا؛ أقتات منها نصيبي من الدفء وأسد بها جوعي وأقوّم بها ضعفي وقلة حيلتي!

أتذكرين عندما قلت لي: في صدري أحملك على هيئة وطن ولا أعترف بخطوط حدود بالية.

واقتربتِ من أذني وهمستِ:

– كيف لثائرة مثلي، أن تغدو حرّة دون لثام فارسها، وأن ترضخ لها كل الحدود وتنحني أمامها المسافات ورقع البلاد المنسيّة!

لكني اليوم أخشى عليكِ من المنفى البعيد، أخشى أن يبدِّلَكِ البذخ ويسلب عقلكِ جمال الغرب، وتفتنك الشوارع المزيَّنَةُ بأشجار الميلاد. أخشى عليَّ من مزاجكِ المتقلِّب كما الفصول، أخشى على لون البياض في قلبكِ أن يُطمس بسواد العالم البشع، أخشى على نقائك الذي يشبه الياسمين. في العروق؛ أخشى من كل شيء، فتعالي وربتي على يدي، وليكن كل ذلك مجرد كذبة تحاول التسلُّل إلينا.

كانت تنتابني رغبة عارمة تتخلّل حواسي، وكان جل طموحي أن أعود بالزمن يا صغيرتي سويعات قليلة لكني عدتُ به شهورا طويلة؛ عدتُ بحماسة لم تقتلها حرب! عدتُ فارسكِ ذاك الذي لا يفقه عزف حروفه بغير أبجديّة إحساسكِ، عدتُ بقدسيّة عيني الثورية التي لا يجدر بأحد تقديسها سواكِ!

عدتُ بعد سماع صوتكِ في أذني؛ روح تتراقص كالطفل يلعب تحت زجاج المرايا.

نبض صوتك.. آه يا لصوتكِ يا نايا! يبرع في لملمة شتاتي، يوحِّد تمزقي بطريقته، يلوِّن دمعي طيف لا يكسر. يغرسني قمر يُحَلِّق في توَغُّل السماء. صوتكِ يا حبيبتي هو النبض المتبقي لي في جسد هذا الكوكب المريض، وطيور من سعادة تطفو على شواطئ قلبي. صوتكِ؛ قافية القصيدة من وقع المطر. كان كفيلًا بأن يهديكِ جنوني ويومي، وكما يرغب الأزرق أن يبقى مُتعمقًا ممتدًا في السماء؛ أرغب بأن يبقى نبض صوتك أوكسجيني.

إني أمارس جنوني الآن بمنتهى العقلانيّة، كأن أحب كثيرًا صغار الحي الذي تقطنينه؛ رغم أني لم أصادفهم على قارعة الطريق أبدآ.

أتصدقين أيضًا؛ ما زال لحن الموسيقى التي سمعناها معًا ولم نسمعها أبدًا يتمتم عزفها في أذني، وذاك الياسمين الذي عقدته لكِ طوقًا على رأسكِ، وذاك البحر الذي قصدناه سويًا ولم يكن!

لا تصدِّقي كم أشم رائحة عطركِ وأتحسّس وجودها وإيقاع خطواتكِ، ووتيرة أنفاسكِ المتناغمة.

كنت سعيدًا جدًا حين كنتُ أقوم بوصفكِ للجميع، وقفوا مشدوهين! وهم يتساءلون:

– من تكون؟

أجبتهم:

– نصفي الذي تسكنه روحي في قلب هذا الكون وما تبقى لي من وطن ألوذ إليه هربًا من قهر المنفى.

نعم لأنك نايا غزالتي الصغيرة.

حُب إلكتروني .. رمضان سلمي برقي .. مصر

لديّ شعور بأن معظم الكُتاب ينقشون بحبرهم أروع قصص الحب ذات النهايات السعيدة، ومن داخلهم يعانون آلام أتعس النهايات لقصص حبهم غير الموفقة... ربما ليس معظمهم، ربما أنا فقط!

أنا مؤلف قصص شاب؛ ذاعَ صيت بعض من قصصي على صفحات الإنترنت؛ من نوعية القصص العاطفية، ورغم أن فاقد الشيء لا يعطيه، فقد أحبها القراء من الشباب والبنات، بيد أنني حتى الآن لم أعش قصة حب سعيدة قط بحياتي، وأبحثُ دائماً عن الحب، سواء على شبكة الإنترنت، أو على أرض الواقع، حتى رقم هاتفي أضعه على صفحات الإنترنت الخاصة بي لربما فُرجَت! ولكن دونما فائدة؛ لا أدري لماذا يخشاني الحب؟ كثيراً تساءلتُ: هل مَنْ يحبون أفضل مني؟ أم هو النصيب الذي لم يأتِ بعد؟ أم أني منحوس؟

أنا لستُ دميماً، ولست وسيماً الحقيقة، ولكني شاباً عادياً كأي شاب يمكن أن تقابله بأي طريق تسلكه؛ منذ شهر تقريباً وقعتُ في الحب لأول مرة، أجل، وقعتُ في حبها لما التقيتُ بها على صفحات موقع التواصل الإجتماعي "فيس بوك".

هي؛ كانت معجبةً بقصصي، وكانت تلاحقني في كل منشوراتي بتعليقاتها الشهية؛ بدأتُ أدخلُ على صفحتها لأستكشفُ عالمها ومن الوهلة الأولى، وعندما رأيتُ صفحتها الشخصية خَفَقَ قلبي، تساءلتُ: هل هو الحب الذي أبحث عنه؟ رحتُ أتصفحُ منشوراتها؛ كم كانت رقيقة، متدينة، مثقفة، لقد أبهرتني شخصيتها وأسلوبها وثقافتها وتدينها، حتى اسمها "مَرَام" كان كله رقة وموسيقى وسجع وكنايات.

انكببتُ عليها كبة محروم من الحب لآلاف السنين؛ تحادثنا، تصادقنا، أُعجبنا ببعضنا البعض؛ شعرتُ بأن الحب أخيراً تواضعَ وزار قبر قلبي، ليعيد رفاته إلى الحياة!

ذات مرة وفي محادثة بيني وبينها بدردشة الفيس بوك كتبتُ لها:

– مرام... قلبي تزداد نبضاته حينما أحادثك وأشعرُ بسعادة غامرة!

كتبَتْ لي بعد لحظات:

– هيثم... أستحِ أن أجيبك وأقول لك أني أيضاً تزدادُ نبضات قلبي حينما أحادثك!

شعرتُ بفرحة قادمة، كتبتُ:

– أريد أن أعترف لكِ بسر؟

– اِعْتَرِفْ الإنكار لن يفيدك هأهأها؟

– أنا أحبكِ؟ أحبكِ من كل عمق في أعماق أعماقي؟

– إمم!

– ماذا حدث هل أصيبت لوحة كتابتكِ بمكروه؟

– هأهأهأهأ؛ اللوحة بخير، أَنْتَ فاجأتني الحقيقة؛ لذا كنتُ أُفكر فحسب!

– جيد، وهل فكرتِ؟

– مازلتُ أفكر، اعطني فرصة يا "هيثم" كي أتأكد من أحاسيسي بداخلي وأفاجئك برد يسعدك؟

عندها شعرتُ بأن فرحتي قابت قوسين أو أدنى مني، كتبتُ لها:

– أريد رقم هاتفكِ يا مرام؛ أموت وأسمعُ صوتكِ؟

– لا أستطيع فعل هذا فأنا لا أحادث شباب على الهاتف أبداً، وغير ذلك أنا لا أُخفي أسراراً على والداي، ودوماً أقصُ عليهما كل ما أفعله بيومي ومع مَنْ تحدثتُ وبمَنْ تعرفتُ؛ قل لي؛ ماذا سأقول لهم عنك ياهيثم؟

– قولي سيخطبني؟

– هأهأهأهأ... هذا سابق لأوانه إتفقنا!

– اتفقنا... هل يمكن أن ترسلي صورة لكِ، أريد أن أتأملكِ وأنحِتُ تفاصيلكِ على جدران قلبي؟

– وهل ترضى لأختك أن يأخذ شاباً صورتها على "الفيس بوك" أو أن يَنْحِتُ تقاسيمها على جدران قلبه؟

قُصفَتْ جبهتي وأفحمتني بهذه الإجابة الدبلوماسية المعتادة على ألسنة الفتيات، كتبتُ:

– لا أرضَ بالطبع!

ونجحتُ في أن أُظْهِرُ لها بعض من الشهامة والرجولة؛ حتى أنال إعجابها، ولأنها من صفاتي أيضاً.

توقفَتْ عن الكتابة، ظننتُ أنها غَضبَتْ، وفجأة؛ وجدُتُها قد أرسَلَتْ صورة لها!

يا الله؛ عشقتُ جنونها في هذه اللحظة، وعشقتها أكثر عندما رأيتها؛ كم هي جميلة رقيقة جذابة، وبحراً من الأوصاف لا يكفي لوصفها، كانت تشبه ملكات جمال الهند، عيناها السوداء، أنفها الصغير، وجهها الأبيض المشع، طرحتها الزرقاء، ابتسامتها الساحرة، غمازتيها بخديها الميسين؛ شفتيها العنابيتين.

الحمد لله؛ تلك هي فتاة أحلامي؛ كم ستفرح بها أمي كثيراً، ليتها تنتهي قريباً من التفكير وتقولها وتنهي حيرتي وتأذَن إلى السعادة أن تزورني!

بعد مرور أيام؛ فتَحتُ الدردشة كعادتي لأبحث عن رسائلها، فوجدتها تركتْ لي رسالة غريبة؛ كتبَتْ لي:

"عزيزي هيثم؛ الحقيقة أني كنت أختبرُ حبك لي؛ إن كنت جاداً أو تُزجي بي وقتك كسائر شباب تلك الأيام؛ وأنا متأكدة من إحساسي تجاهك، وإن قلت لك عما يعتلجُ به صدري تجاهك لكنت أسعد رجل بالوجود، وأنا متأكدة أيضاً من طيبة قلبك ونقاءه، ومن رقة إحساسك، وصدق مشاعرك ونبلها، ولكن تبقى لك اختباراً أخيراً؛ أعرف أنك ستنعتني بالمشاكسة، لأني دائماً مؤمنة بأن المشاكسة بين الأحباء تُلهب الحب وتشعله داخل القلوب؛ لذا أريد أن أختبر أحاسيسك وموهبتك مسبقاً؛ بالتأكيد أَنْتَ تعرف معنى

هذه الحروف "ق ق ج" والتي هي اختصار لجملة "قصة قصيرة جدا" وأَنْتَ تعرف أن هذا النوع من القصة يحتاجُ إلى التكثيف وعدم الإطالة، وبعض من الرمزية والإيحاء والشاعرية، لذا؛ سأترك لك أربعة عناوين، وأريد منك أن تكتُبْ لكل عنوان قصة قصيرة جداً، ويكون ذلك خلال يومين فقط، وبعد أن تصلني النصوص وأقرأها سأقولها لك إن شاء الله... في رعاية الله"

بعد قراءة الرسالة والعناوين؛ قلت لنفسي: حقا كم هي مشاكسة، وأنا قبلتُ ذلك التشاكس، ورغم أني لا أكتب سوى "القصة القصيرة" إلا أني سأكتب تلك النصوص وسأرسلها، وسأقصفُ جبهتها وأنتزعُ الاعتراف، وأجعلها تستسلم لحبي... مؤكد أن أمي ستفرح بها كثيراً فهي دائماً تحب المشاكسات.

أتعجب الآن من نوعية اختبارها؛ ماذا لو كنتُ سباك صحي، هل كانت ستطلب مني تسليك بالوعات منطقتهم السكنية في وقت قياسي، وإن فشلتُ لا تعترفُ لي بحبها وتتركني!

وقتذاك؛ سهرتُ ليلة ليلاء، وكتبتُ بحمد الله الأربعة نصوص، وفتحتُ الدردشة، ودخلتُ صفحة رسائلها، وأرسلتُ لها العناوين الأربعة مشفوعة بنصوصها.

****

حبيبتي مرام. إليك بالنصوص.

١ – أمر بالنسيان:

بعثتْ له برسالة فحواها: أخرجني من قلبك وانساني؛ فقد صرتُ زوجةً لأحدهم؟

فرد عليها برسالة فحواها: من المُرسل؟"

٢ – رفض الواقع:

عاد من عمله مبكراً، دخل شقته؛ وجدَ زوجته تضاجع رجلاً على فراشه؛ خَرَجَ متمتماً: دخلتُ شقة الجيران بالخطأ.

٣ – مصاص دماء:

بعد انتشار الظلام على سطح الأرض؛ بدأ مصاصو الدماء في الخروج من جُحورهم، تَشَبَثَ أحدهم بصخور الجُحر. سألوه:

– لماذا لا تريد الخروج الليلة معنا؟

أجابهم:

– لقد تمَكَّن مرض الحب من قلبي!

٤ – اغتصاب ورقة:

قلم؛ هَتَكَ عذرية ورقة بيضاء، اعتلى سطورها، لثم تعاريجها، لم يكترث لخشخشاتها، نَقَشَ بحبره أجرأ الكلمات؛ عَاشَ نشوة الابداع.

***

أرسلتهم، وفوجئتُ بعد أيام، بأنها قامت بتعطيل حسابها على "الفيس بوك" لقد انتهيتُ عندما اكتشَفْتُ هذا؛ بادئ ذي بدء ظننتُ أن هناك عُطلُ ما في حسابها، اعتقدتُ أنه

خلل من شركة "الفيس بوك" نفسها، ولكن مع مرور الأيام، تأكدتُ أنني فشلتُ في اختبارها ومن بعدها اِنْقَرَضَتْ من حياتي، تماماً كما اِنْقَرَضَتْ ديناصورات العهد البائد من الأرض، ولم يتبقَ منها سوى رفات دُفِنَتْ في قلبي.

عشتُ الأيام أكتمُ جرحي وأضحك، وخلف أسوار الضحكات الشاهقة؛ مخبوءةً دموعي خوفاً من السقوط تحت أقدام من لا يعي قدرها. أتساءل: لماذا يفعلون بنا هكذا؟ يعلقوننا بمقصلتهم، ولا يجذبون الذراع ليريحوننا من عذابنا؛ سحقاً للعشق ولمن يعشقون!

وقتذاك؛ كنتُ أعرف جيداً أنني لم أرها إلا بصورة رقمية، ولم أسمعُ صوتها، ولكنني عشقتُ روحها؛ روحي تعلقَتْ بروحها فحسب، والأرواح لا تكذب!

مَرَتْ الأيام ولم يَنْدَمِلُ جرحي بعد، وذات مرة كنت أتصفح بعض من الجرائد الرقمية الأدبية على شبكة الإنترنت، فتعَثرتُ بشيء لم أتوقع أن أصادفه أبداً؛ الأربعة نصوص والتي أرسلتها لمرام، وجدتهن منشورات بجريدة ما، وباسم مؤلف صادفتُ اسمه من قبل على صفحات "الفيس بوك" ولكن لا أعرفُ عنه الكثير؛ حاولتُ البحث عنه فلم أجد حسابه! لربما قام بحظر حسابي تحسباً لاكتشاف السرقة الأدبية، حينئذ؛ انتابني الاحباط، فقد ضاعت مجهوداتي هباءً منثوراً، وكيَّفَ حدثَ هذا لا أعرف، وأريد أن أعرف؟

وقتئذ؛ تساءلت كثيراً: هل باعتني تلك المشاكسة وباعَت نصوصي لذلك الشاب؟ أم أنها هي ذاك الشاب وادَّعَى أنه فتاة ليسرق مجهوداتي ومجهودات غيري ليبني مجده فوق رفاة ضحاياه؟ لا حول ولا قوة إلا بالله؛ رأسي كاظ أن ينفجر. أياً كان سواء شاب أو فتاة فلو وجدته أمامي لأبرحته ضرباً حتى أثْخَنْتَه.

وظللتُ عاجزاً عن فعل أي رد فعل، تحدثتُ إلى صديق لي عما حدث معي.

قعدنا ذات ليلة على مقهى هاديء، نتبادل أطراف الكلام ولنجد ثمة حل لِما وقعتُ فيه من مآزق.

– يا ساذج!

شامتاً قالها، حانقاً قلتُ له:

– لا تسُبني وإلا غضبت منك وضربتك يا أدهم؟

كان أدهم قصير القامة ضخم الجسم، قال:

– أَنْتَ الذي تستحق الضرب، أتُحب سراباً يا فاشل!

تضايقتُ كثيراً من أُسلوب أدهم الفظ، ولكن على ما بدا لي أنه كان مُحِقاً في قوله، لذا تركته يكمل حصة التوبيخ لعلني أتعظ:

– لا يوجد حب على شبكة الإنترنت، وخاصة أنك حتى لم تسمع صوته، ولم يتسنى لك التأكد بأنه حتى أنثى؛ وسرعان ما انكببتَ على وجهك في حب صفحة شخصية، وعشق منشورات مقصوصة من المنتديات والمواقع!

نقأ وجهي، قلت:

– أنا عشقت روحها فحسب ... فقاطعني أدهم ساخراً:

– تقصد عشقت روحه يا "لطخ" هأهأهأهأ!

لقد زَادَتْ توبيخاته بما فيه الكفاية، سألته حانقاً:

– ما الحل الآن بلا مزاح أرجوك؟

عاد بجسده إلى الخلف، وأشعلَ سيجارة، وقال بلهجة الخبير المتمرس:

– إنه شاب يا صديقي ويفعلها دائماً، ويستغل أمثالك من طيبي القلوب وأنقياء الضمائر ...

فقاطعته مستدركاً:

– أجل، لقد قالت لي... أقصد قال لي أنني طيب ونقي ذات مرة!

فضحك صديقي وأردف:

– تلك هي مشكلتك يا صاح؛ إن أردت أن تعشقك فتاة ما وجب عليك أن تكن شاب "مُخَرْبِش"!

– وماذا تعني؟!

– مُقَطِعُ السمكة وذيلها!

– وما المَقصد منها؟

– لا تلين بسهولة لأي فتاة؟ كن ثقيلاً راسياً ولا تشفق على إحداهن؟ ولا تنكب على وجهك ثانية؟ ولا تركضُ خلفهن؟ بل اجعلهن هن اللائي يركضن خلفك؟ الفتيات يحببن من يركضن خلفه، وليس من يركض خلفهن... أفهمت؟

فشَرَدْتُ على وقع نصائحه أضع حدوداً لشخصيتي الجديدة؛ وأقصدُ بالطبع شخصيتي الجديدة لقصتي الجديدة لأنني لن أتغير أبداً فأنا تمام هكذا!

صاحَ صديقي بأعلى صوته:

– اثنان من السحلبَ على حساب صديقي اللطخ... هأهأها؟

صدق الأديب "تشيخوف" حينما قال: "كلما ازداد الإنسان نقاءً؛ ازداد تعاسة" حينئذ؛ تساءلتُ: هل نقائي هو سر تعاستي؟

بعد أيام؛ اتَّصَلَ بي ذلك السارق لمجهودات غيره، والحقيقة اعتذر لي، وقال:

– أن ما حدث كان نتيجة خطأ لا أكثر، وأعدك بأني لن أفعلها معك أو مع غيرك ثانية!

لعله ثاب وأناب إلى الله، فسألته عن الفتاة أو إن كان هو مَنْ قام بدور الفتاة؟ فلم يجبني وأنهى المكالمة، وأُغْلِقَ خطه إلى الأبد!

***

ليلة أمس؛ أخذتُ جهاز الحاسوب الشخصي، والهاتف الذكي من غرفتي وصعدتُ إلى سطح بيتنا، وضعتُ الحاسوب على المنضدة، افترشتُ السجادة والوسائد تحت ضوء القمر والنجوم، ثم التقطتُ الحاسوب والهاتف ووضعتهم بجانبي، وتمددتُ على ظهري،

وبدأتُ أتأمل صفحة السماء المزركشة بالقمر والنجوم والكواكب والشهب، وتذكرتُ تلك المقولة:

"عش في الزمان صريح القول ما دامت تلجُ الصدر أنفاس، ولا تغترَ لمعسول القول فقد خلا الزمان من كامل الأوصاف" كم أعشق تلك المقولة المتناقضة، التي لطالما طبقتُ شطرها الأول في معاملات حياتي، ولم أكترثُ لشطرها الآخر، لذلك خُدِعتُ أكثر مما صُدِقتْ!

وقتئذ؛ شردتُ بملكوت الله، أطلقتُ العنان لخيالي، فحلقتُ بالفضاء، وتمنيتُ لو أن ذاك السارق كان بالفعل فتاة وكانت قد أحبتني بصدق؛ لكنت قد انتشيتُ من الحب جرعات وجرعات، ولتحولتُ بقدرة قادر إلى أسعد رجال الكون؛ كما أكتب في قصصي العاطفية ذات النهايات السعيدة.

وأمي مؤكد أنها كانت ستسعد بها كثيراً، ولكن خسارة يا أمي! عشقتُ فتاة على ورق، عشقتُ شخصية أنا مَنْ رسمتها بقلمي؛ ظننتني فارساً، امتطيتُ سراباً دون أن أدري، ولما أدركتُ الحقيقة؛ وقعتُ على وجهي بوحل الواقع، وانغرس سيفي بقلبي فأدماه!

أتساءل متعجباً: كيَّفَ تكذب الأرواح؟ إن الأرواح جنود الله المجندة، والتى إن تعارفت تآلفت! ونحن تعارفنا وتآلفنا! إذاً كيَّفَ حدث هذا الخطأ الفادح بداخلي؟

دقَّ جرس الهاتف، فهبطتُ على جسدي من سماء خيالي عنوة، مددتُ يدي، تناولت الهاتف، نظرتُ إلى الشاشة فوجدته رقماً غير مسجل في سجل هاتفي، أجبتُ المتصل على مضض، قلت:

– السلام عليكم؟

– وعليكم السلام!

فإذا به صوت أنثوي فاق العنادل شجناً، عندئذ؛ انتفضتُ جالساً لأركز مع ذلك الصوت الملائكي، قالت:

– الأستاذ هيثم معي؟

قلت في نفسي: ما هذا الحلم؟ تلك هي المرة الأولى التي أسمعُ لحن اسمي يعزف فيها منفرداً ومتفرداً بذلك الدلع وبتلك الرقة! وتلعثمَتْ جميع حروف اللغة العربية والعامية بلساني، قلت بصعوبة:

– أنا ... الاستاذ معك هيثم بدون استاذ هيثم أنا... أقسم بالله!

انفجَرَت ضحكتها وسَرَتْ كهربائها في جسدي، وسمعتُ صداها يتردد في أرجاء السماء، واهتزت لها النجمات، وارتجفَ لها قلبي، وانفرجتْ بها أساريري، قالت:

– أريد أن أعتذر لك عن غيابي، وعن نشر أخي للأربعة نصوص خاصتك، لقد نشرها بالخطأ، كان يظنها نصوصي أنا، فأَنْتَ تعرف الأخوة ليست بينهم كلفة.

عندها شعرتُ بطبقات من جليد القطب الشمالي تتفتت فوق سائر جسدي؛ إنها مرام! لم تكذب أرواحنا علينا أبداً؛ كنت أتمنى أن أرى صديقي أدهم لحظتها لأقول له بأنه هو "اللطخ" لست أنا وأركله بقدمي على مؤخرته الضخمة.

قلت لها وكلي وله:

– لا عليكِ... المهم؛ حمداً لله على سلامتك أيتها المشاكسة الجميلة!

عادت ضحكاتها تملأ فضائي، قالت بصوت رقراق:

– لقد كنت تنتظر مني رداً أليس كذلك؟

وقتئذ؛ شعرت بأنني ريشة تتأرجحُ على نغم حروفها، وشعرتُ بأنه آن لأمي أن تسعد بها كثيراً، وتصببتُ عرقاً، وقلت بحشرجة:

– بلى أنتظر على أحرّ من الجمر!

ضَحِكَتْ ثانية، فتأرجحتُ بين الكواكب، واتكأتُ على نجمة لأنصتُ منتشياً لعزفها المتفرد الأخاذ، قالت:

– سأعترفُ لك بها، ولكن، تبقى لك اختبار أخير جد بسيط؟

عندها جفلتُ من تكأتي فسقطتُ إلى أرض الواقع، أكملَتْ كلامها، قالت:

– هذا العنوان "خريف الأحلام"

بادرتُ بسؤالها، قلت:

– أتريدين أن أكتب لك "نصوص قصيرة"؟

ضَحِكَتْ! ويا ويلي من ضحكتها؛ شعرتُ بأني ذُبت مكاني مثل مكعب من ثلج لفظته ثلاجة قاسية القلب بالعراء في أوج الصيف.

ولمَّا فرغَتْ من ضحكتها التي دغدغتني، قالت:

– بل رواية!

عندها قلتُ في نفسي متألماً: أمي؛ أعتقد أنه كُتِبَ عليكِ ألا تسعدين بفتاتي لفترة مديدة، و كُتِب عليَّ كذلك!

مائدة إلى السّماء .. صباح دهيلس .. الجزائر

بعد نوبة بكاء طويلة هدأت ماريا أخيرًا واستسلمتْ للنوم، وضعتها أمّها إيمان في مهدها وقبّلتها في جبينها وهَمَستْ في أذنها:

– قريبًا سيزاحم فراشك هذا فرد آخر من العائلة، سنسميه: رمضان.

ذهبتْ إيمان إلى المطبخ متثاقلة ثقل بطنها، وهمّت بتحضير كل ما يمكن تخزينه لرمضان، لقد مُلئت المائدة بفومها وبصلها وقِثّائها، كانت مملوءة على عروشها من حيث لا تدري عن حالة غزة المحاصرة. لكن الأمّ لم تتفاجأ فشهر الخير سيأتي غدًا أو بعد غد، وقد مهّد لطريقه بكل هذه الخيرات.

كانت إيمان تقوم بعملها على ضوء شمعة، ليس لأنّها موعودة بليلة عاطفيّة مع زوجها، ولكنّها حال كهرباء غزّة الّتي تزورهم ساعة وتقطع عنهم ساعات.

وبينما هي كذلك؛ كان زوجها أحمد يُركّب فوانيس رمضان على جدار منزلهما، لعلّ الكهرباء تتكرّم غدا بمجيء جليل جلال شهر القرآن.

ولج الزّوج مُتجّها للمطبخ، وبالتّحديد لبطن زوجته يُقبّل ابنه المخبّأ هناك. كان يحاول أن يسمع نبضات قلبه الصّغير، لكنّ صوت صافرات "الزّنانة" حال دون ذلك؛ مرّ صوت الإنذار على الزوجين مرور الكرام، فقد تعوّد سكّان غزّة على ذلك تعوّدهم سماع الأذان!

شغّل أحمد أنترنت هاتفه؛ فهي الوسيلة الوحيدة لتتبّع أخبار رصد هلال رمضان، في ظلّ عدم توفر كهرباء التّلفاز. نزل وصعد مِرارًا في مواقع التّواصل الاجتماعيّ ليصادف أنباء عن نزول صواريخ في مكان ليس بالبعيد كثيرًا، لتُحوِّل تلك الأخبار مجراها إلى حيّهم، لقد أصبحت قاب قوسين أو أدنى منهم.

أمسَكَ أحمد يد زوجته وأسرعا لغرفة تواجد سارة، لم تكن سرعة كافية لتخطّي سرعة الصّاروخ الّذي نزل فوقهم، لم تفرِّق القذيفة يديهما، لكنّها _فقط_ فرّقت جسده. كانت إيمان تخاف من العمليّة القيصرية لكنّ العمليّة العسكريّة قامت بمهمّة فتح بطنها، أمّا سارة فقرّرت أن لا تبكي بعد الآن، لأنها فضّلت أن تسكن في الجنة.

لم تستطع العائلة، ولا غزّة رصد هلال رمضان، لكنّ كل العالم رصدهم أهلّة شهداء، لم تنزل عليهم مائدة الحواريّين، لكنّ مائدة رمضان صعدت معهم إلى السّماء، فقد فضَّلتْ أن يصوموا فوقُ.

أوتار الحزن .. زكرياء الحداد .. المغرب

– أبي أصحيح أننا سنخرج غدا للتّنزُّه؟

– بالتأكيد عزيزي، لقد وعدتك، والرجال لا يخلفون الوعد.

نَظَرَ إليّ بنظرة متشائمة وقال :الأطفال أيضًا لا يخونون الوعد؛ لقد وعدتُك أنني لن أستخدم هاتفي إلا بعد إنهاء واجباتي المدرسيّة، وها أنا لا أستخدمه لأنني أفي بوعدي لك.

ابتسمتُ في وجهه ثم احتضنته قائلًا :هذا لأنك رجلي الصغير.

– نعم يا أبي؛ غدًا لا أريد أعذارًا، سنخرج للتنزّه، يعني سنخرج؟

– بالتأكيد صغيري! هيا إلى فراشك، غدًا سيكون يومًا شاقًا ومتعِبًا؛ كن مستعدًا أيها الرجل الصغير؟

أخذتُ عزيزي ياسين إلى سريره، بعد تلك المحادثة القصيرة بيننا.

ثم عدتُ إلى مكتبي لأقوم ببعض الأعمال، لكن عقلي كان عنده؛ أفكِّر في عزيزي الصغير. رغم كل ما أصابه لا تفارق الابتسامة وجهه الملائكي!

لقد فقدنا أغلى ما نقتسم حبه بسبب عملية تفجير إرهابيّة، فقدنا حبيبتي صاحبة هذه الأمانة الرائعة، أو بعبارة أخرى: شهيدة الوطن؛ إن صحّ التعبير. لَفَظَتْ أنفاسها

الأخيرة وهو في الثالثة من عمره، كان ألم فقدانها ثقيلا عليّ، لدرجة أن تمنيتُ لو كنتُ بجانبها واستشهدنا معًا.

لكن ياسين هو من جعلني أقاوم هذه الحياة ومأساتها، هو من أمدَّني بالقوة في الوقت الذي كان هو بحاجة إلى الدعم والمساندة أكثر مني، بسببه قاومتُ وصارعتُ للبقاء على قيد، تأقلمتُ مع نكبات الدهر، ودروبه المُتعِبة، وكأنه لا يكفيه فقدان أمه، بل ما يزيد من مرارة هذه الحياة؛ أن صغيري أصيب بمرض السرطان وهو في الخامسة من عمره، يا له من اختبار. فقدتُ زوجتي دون سابق إنذار ودون أن أقبِّل جبينها قبلة الوداع الطاهرة! وإذا بي الآن أقف مكتوف الأيدي لا حول لي ولا قوة إلا بالتضرُّع إلى العزيز الجبّار؛ كاشف الهموم ومانع الأخطار.

قال الأطباء: أنه لن يعيش طويلًا؛ المرض ينتشر في جسمه بسرعة كبيرة.

بعد معرفتي بمرضه، قطعتُ وعدًا على نفسي أن أجعل آخر أيامه كلها سعادة وفرح، عزمتُ على ألّا أجعل دمعة تنزل من عينيه. كنتُ له الأب والأم والأخ وكل شيء، وكان هو دافعي ومحفِّزي وأملي للاستمرار بهذه الحياة.

بعد ليلة طويلة من التفكير والبكاء على صغيري، انبثَقَ من ذاك الظلام الدامس نور الشمس المشرقة؛ أرسَلَتْ الشمس أشعَّتها بين ستائر النافذة، قائلة لي :قم يا هذا، استغِل كل دقيقة من وقتك، ما يزال لديك وقت كاف لتعيشه مع صغيرك لا تضَيِّعْهُ في النوم؟

رغم التعب بسبب قلّة النوم؛ نهضت من فراشي وكلي سعادة ونشاط، حتى أنني كنتُ أكثر سعادة وسرورًا بهذه النزهة مع صغيري، ربما لأنني أعتبرها هدية من الله أن منحني وقتًا إضافيّا أقضيه مع فلذة كبدي.

قمتُ بتحضير الفطور، وضعته على المائدة، وناديتُ صغيري: ياسين تعال أيها البطل، لا تريد أن نتأخّر عن النُزهة أليس كذلك؟

– بلى يا أبي.

قالها ونَزَلَ على الدرج بسرعة وهو يصرخ قائلًا: سنخرج للنزهة... أنا سعيد جدًا.

عانقني وقال: أحبك أبي.

للحظة تمنيتُ أن يتوقَّف الزمن، أن ينتهي العالم، أن ينتهي كل شيء الآن، لا أدري كيف سأعيش بعد رحيله لا أريد التفكير في حياتي بعد رحيله، حتمًا لن أستطيع المقاومة سأنهار بلا شك!

حبستُ دموعي المترقرقة في عيني، وقلت :أنا أيضا أحبك عزيزي هيا تناول فطورك، توجهنا نحو المتنزه، وعلى الطريق أنشدنا أناشيد الكشافة، صرخنا بأعلى صوتنا مستمتعين بتلك اللحظات، قال لي بابتسامته المزهرة على وجهه المنير كالبدر المكتمل: لا أريد أن ينتهي هذا اليوم، إنه أجمل أيام حياتي، نظرت إليه نظرة استغراب وأنا أبتسم قائلا :

– أيها الرجل الصغير، أتعني أننا لم نعش أياما جميلة قبل هذا اليوم!!

أجابني وعلامات التوتر بادية عليه :لا لا يا أبي لا أقصد ذلك، على العكس، كل ثانية قضيتها معك كانت أجمل وأمتع وقت يمكن أن يقضيه شخصان مع بعضهما، ولكن أحس في داخلي أن هذا اليوم مميز.

قلت وأنا متردد، وفي أعماق نفسي ألم شديد:

– لا تقلق يا عزيزي، سنعيش أياما أجمل من هذه في المستقبل..

وصلنا للمتنزه، وجدناه ممتلئا عن آخره، عشرات العائلات معا، يضحكون يتهامسون، يعيشون لحظات السعادة، صفعني ياسين بكلام لم أكن مستعدا لسماعه، كنت متناسيا الأمر تماما، قال : ليت أمي كانت معنا، تجمدت في مكاني، تلعثم لساني وبدأ الكون يدور بي، ماذا عساي أقول كي أخفف عنه وأمسح حزنه هذ ! لكنه أعاد الروح إلى جسدي وقال :

– ولكنك أمي وأبي وكل شيء في هذا العالم، سعيد جدا لأنك أبي..

تنفست نفسا عميقا بعد الكلمات التي قالها.

نصبنا خيمتنا في المتنزه، لعبنا بالكرة، صنعنا طائرة ورقية حركناها معا، قضينا وقتا ممتعا كله سعادة، ضحكاته البريئة في ذلك اليوم لا تزال تتردد على مسامعي إلى الآن، لقد ترسخت في ذهني، وفي المساء، عندما تأخر الوقت، قررنا العودة، كنا متعبين جدا،

قمنا بضب أغراضنا، وركبنا السيارة عائدين إلى البيت، كانت علامات التعب بادية على وجهه ، استمتع بكل دقيقة في هذا اليوم، يحق له أن يرتاح الآن راحة البطل المنتصر.

بينما نحن على الطريق، وبينما نغمة النعاس تتلاعب بعينه تمتم بشيء وقال:

– أعدك يا أبي عندما أكبر، وتكون أنت قد بلغت مرحلة الشيخوخة، أعدك أنني سآخذك للتنزه بسيارتي، وسنستمتع بكل لحظة معا، تماما كما عشناها اليوم، ثم أغلق عينيه ونام ملاكي الصغير.

هذه المرة لم أمسك دموعي، تدفقت بين رموشي، بكيت بشكل هستيري تعالت شهقاتي، وأنا أحاول أن أكتمها حتى لا يستيقظ، أوقفت السيارة ونزلت إلى الخارج، ثم أطلقت العنان لدموعي، تماما كطفل رضيع فقد أمه.

ليتني أستطيع إخباره أنه لن يعيش إلى ذلك الوقت، ولن يذهب إلى الجامعة، وأيضا لن يحب فتاة في صفه، لن يعيش فرحة التخرج ولذة النصر، لن يربط الرباط المقدس مع حبيبته المستقبلية، ليتني فقط أستطيع أن أمزق صفحات أحلامه وأقول إنك لن تعيش طويلا، أبدا لن تعيش!

وأنا في تلك الحالة أدركت كم أن هذا العالم غير عادل، لم أكن أعلم كيف سأواصل العيش بعد رحيله، كيف سأصبر على ألم فقده بعدما عشت نفس الألم سابقا

عندما فقدت أمه، إنه أمر صعب للغاية ليتني أحمل هموم العالم على كتفي، ولا أحمل هذا الألم، كيف يضيع ملاكي بين يدي دون أن أحرك ساكنا.

يااا الله أوقف هذا الامتحان، إنه صعب جدا لا أستطيع المقاومة، لا أستطيع..

بعد دقائق من البكاء والحسرة والمرارة، أمسكت نفسي وقلت توقف يا كريم، عد إلى رشدك، لا تفكر فيما هو قادم، عش هذه اللحظة الآن مع صغيرك إلى أن يأتي ذلك الوقت.

ركبت السيارة وأكملت الطريق إلى البيت، حملت صغيري وهو ما يزال نائما، وضعته في سريره، قبلت جبينه، ثم اتجهت إلى غرفتي، هذه المرة لن أدخل إلى مكتبي لمراجعة أوراق العمل، تركتها متناثرة في مكانها لأنني متعب، لذلك سأخلد مباشرة إلى النوم، استلقيت فوق سريري وما هي إلا لحظات حتى دغدغت نغمات النعاس عيناي وغرقت في نومي.

فجأة استيقظت على وقع صراخ، إنه صغيري ياسين، ركضت مسرعا إلى غرفته، وجدته يتلوى في مكانه، يتلوى ويصرخ كشخص أصيب بالصرع، حملته مسرعا وأنا أحاول أن أهدئه: لا تخف يا صغيري أنا إلى جانبك، أخذته إلى المشفى، دخلت باب المستشفى وأنا أصرخ، أنقذوا صغيري أنقذوا ملاكي لا تدعوه يرحل، أدخلوه إلى قسم

المستعجلات، همس أحد الأطباء في أذني، وقال :لا تقلق سيكون كل شيء على ما يرام.

خارت قواي، جلست على الأرض، كانت تلك الساعات أعسرها وأشدها وطأة علي، بعد لحظات وبينما أنا غارق في دموعي، ارتفع صوت آذان الفجر، تنفست قليلا ثم توجهت إلى المسجد الخاص بالمستشفى، هناك تذللت إلى الله بكيت بين يديه، رجوته ودعوته :يا ربي لا تختبرني بموت عزيزي، يا ربي احفظه لي، يا الله لن أعيش بدونه يا الله إنه الشيء الذي من أجله أحيا، أنقذه يا الله لا تأخذه، إن كان حتما سيرحل فخذني معه، لا معنى للحياة بدونه، كيف لشخص مثلي أن يتحمل كل هذا الألم المرير..؟

أخبرت ربي بكل ما يجول في داخلي، احمرت عيناي من شدة البكاء، كأن بي شيء من نبي الله يعقوب لما حزن على فراق يوسف، كأنني يعقوب وهذا يوسف سيرحل، لكنه سيرحل دون عودة، ألمي أكبر من يعقوب إذن، لن يكون هناك أمل في عودته مجددا بعد مرور السنين، خرجت من المسجد وتوجهت إلى باب غرفة المستعجلات، هناك وجدت الطبيب الذي همس قبل قليل في أذناي، هذه المرة همس في أذناي أيضا، لكنه قال :العزاء لك، لقد فقدناه، كأن سهما انغرس في صدري، لقد مزق كل شراييني، توقف لساني عن الكلام، أصبحت جسدا بلا روح، أنظر إلى الطبيب، أريد أن أقول له، لماذا فقدتموه؟؟ ما نفع كل هذه المعدات إن لم تنقذ ولدي؟؟ ما نفعها إن كانت عاجزة عن إنقاذ صغيري؟ ماذا أفعل يا الله؟ هل أحرق هذا المشفى؟؟ هل أقتل الجميع وأثأر

لصغيري؟؟ ماذا أفعل؟؟ ما هذا الاختبار؟؟ من أين لي كل هذه الطاقة؟ من أين من أين؟ بعد موجة عاتية زحفت على قلبي كزحف الرمال في الصحراء من كثرة التساؤلات التي لم أدر لها جوابا، وبعد البكاء الهستيري والصراخ بصوت مرتفع مخيف، أغمي علي وسقطت أرضًا.

مرَّت خمسة أعوام على فقدان صغيري، وإلى الآن أنا على قيد الحياة أعيش، لكن بدون معنى ولا لذة ولا أي تفاصيل من تفاصيل الحياة السعيدة، فرحيله أخذ جميع الألوان ولم يترك لي سوى السواد.

أحلام لم يعرفها أحد .. سَلمى محمود حامد .. مصر

عندما تتحول أحلامك لشبه واقع لا يعلم عنه أحد.. لأنك فقدت الأمل في أن تكون واقعا كليا !

"ها نحن الآن ننهي قصتنا يا أولاد، بمساعدة عاصم لأصدقائه في أنشطة المدرسة، والمطلوب منكم أن تفعلوا مثلما فعل عاصم؛ ساعدوا بعضكم البعض في الواجبات والمدرسية وسأكافئ كل من يفعل ذلك" .

قالتها "أسما" فتاة في الثالثة والعشرين من عمرها، معلمة اللغة العربية الجديدة في المدرسة، والمحبوبة من الأطفال رغم أنهم عرفوها منذ فترة قصيرة فقط.

-"معلمتي هل اثنان فقط من يساعدان بعضهما أم اكثر؟" سأل أحد الأطفال بحماس.

-"لا يهم العدد، ولكن بشرط أن لا تتركوا أبدا صديقا لكم في الصف بدون مساعدة"

- "سنفعل ذلك لنكون مثل عاصم يا معلمتي ! "

ابتسمت أسما، ابتسمت لأنها تتمنى إن يكون الجميع مثل "عاصم" ! يا ليت العالم بأكمله كان عاصما فقط .

كان بطلها الذي لم يعلم عنه أحد، حتى هو لم يعلم ذلك في يوم من الأيام.

انتهي يوم العمل بالنسبة لها، فذهبت الى منزلها لتكمل باقي اليوم مع تحضير عملها ومن ثم كتابة قصة عن البطل "عاصم" لتسردها على مسامع أطفال في الغد.

– هل حقا هناك حكايات ليس لها نهاية؟ أم هناك حكايات نحن من جعلنا أنفسنا أبطالها، ولم يكن لنا دورا فيها من الأساس!

أخذ شاب في الثالثة والعشرين من عمره يقرأ تلك الكلمات وقد كان ينظر لها ولهذا الخط الطفولي بتعجب، كاتما لضحكاته، فقرر أن يقوم بنداء هذا الصغير ليعلم من أين أتى بها:

"لؤي!"

"قادم يا عمي" قالها الصغير وهو يركض نحو عمه.

عاصم وهو يريه الورقة التي كانت في كتاب الصغير: "الأن ايها الشاعر ، هل انت من كتبت تلك الكلمات ؟"

– "أنا لم أكتبه، إنها كلمات معلمتي في المدرسة، سمعتها ذات مرة تقولها خارج الصف للمعلمات"

–"ولماذا كتبت كلماتها إذا؟ "

–" لأنها قالت ذات مرة إنها تعمل في مدرستنا بشكل مؤقت و..."

– "و؟"

– "وسأقول لها حينما تفعل ذلك، اني سأسرق كلماتها، وسأنسبها لي اذا قررت الذهاب "

ابتسم عاصم من أفكار لؤي الطفولية: "كيف لديك تلك الخطط الاحتيالية وأنت في هذا السن يا رجل!"

–"أنا أحب المعلمة أسما وسأفعل أي شيء حتى تظل معنا في المدرسة، جميعنا في المدرسة نحبها أيضا"

عاصم وقد اختفت معالم الضحك على وجهه قليلا ثم نظر للؤي وقال: "اسمها يعجبني كثيرا"

ما إن قالها حتى رن هاتفه وكان المتصل صديقه الصدوق "سمير" ليتقابلوا بعد ذلك .

–"هل تعلم أن لينا وأمير انفصلوا؟ " قالها سمير وهو ينتظر ردة فعل صديقه.

–" حقا ! بالتأكيد أمير حزين جدا الآن " قالها عاصم وهو ينظر أمامه متأسفا لمصير صديقه الذي نبهه كثيرا منها ولم يستمع له.

–" ألم تسعد لذلك ؟ أنت تعلم أن لينا لا تحبه "

–" ولماذا أسعد؟ لا يهمني ما تفعله ولا يهمني من تحب "

–"كيف ذلك؟ كنت أظنك ما زلت تحبها! " –

"ماذا! بالطبع لا، لأكون صادقا معك، فأنا لم أحبها أبدا، كنت فقط أريد أن أظهر أمام

أصدقائي بمظهر حبيب أجمل فتاة في المدرسة، يا رجل كنا أطفال حمقى! " قالها عاصم بسخرية ، وهو لا يصدق أنه ارتبط بمثلها يوما ما .

–"إذا ألم تحب في حياتك أبدا يا عاصم؟"

–"لا أعلم يا سمير، لا أعلم.. " قالها بتنهد .

قرر أن يكمل يومه كعادته مع صديقه سمير، لكن يومهم كان مختلفا فقد قررا الذهاب لجمعية تطوعية لمساعدة المحتاجين بالنشاطات الخيرية .

كتبت "أسما" هذه الكلمات قبل نومها وهي تكمل قصتها التي ستقصها على أطفالها في الغد، والآن كيف ستجعل "عاصم" شخصية مثالية أمام أطفالها غدا كما تفعل كل يوم!

تركت التخليل وقررت الخلود إلى النوم وارتجال قصة عن بطلها غدا.

–" لؤي ! " قالها أحمد بعدم صبر.

–" لا يا أبي سأذهب "

–"أن تذهب إلى المدرسة وانتهى الأمر"

–"ولكن المعلمة أسما ستحكي قصة غدا"

–"أسما، أسما، أسما! هل توقفت قليلا عن ذكر اسم تلك المعلمة خمسين مرة في اليوم ! " قالتها "نور" والدة لؤي وهي تحاول تمالك أعصابها ، ليسمع كلامها عاصم فور دخوله إلى المنزل .

–"ماذا حدث يا نور " سأل عاصم " لؤي مريض وحرارته مرتفعة ، ويجب أن يظل في المنزل"

–" لن أظل. أريد الذهاب "

هم عاصم بحمل لؤي قبل أن يتحدث أحد ثم قال: "سآخذ لؤي إلى الغرفة معي قليلا" أغلق باب الغرفة ثم وضع ذلك الصغير أمامه وقال: " والآن يا بطل، هل تريد الذهاب غدا بسبب صف تلك المعلمة ؟ "

–"نعم أريد"

–"ولكنك مريض يا لؤي، أبوك وأمك يخافان عليك كثيرا، لا يهم عدم رؤيتها غدا"

–"أريد ان استمع لقصة عاصم، في كل مرة تقصها علي معلمتي أنفذ ما يفعله عاصم وأصدقائه، أتعلم يا عمي، البطل يشبهك كثيرا، اسمر البشرة، وشعره أسود اللون، مثلك تماما، شجاع ومثالي في كل شيء وهو أيضا مثلك له أخ أكبر منه يدعى أحمد، وأصدقائه هم: سمير، أمير، محمد، مازن، مثل أصدقائك تماما".

نظر له عاصم بصدمة وعدم تصديق ثم تبدلت ملامحه للسخرية وقال : " كف عن خداعك وقصصك التي ترويها أيها المحتال الصغير، تريد أن تحتال علي أنا أيضا"

–"والله يا عمي لا أكذب ، وكأنك بطل قصص معلمتي"

نظر عاصم له وهو لا يعلم ماذا يقول، هل حقا هي؟ أم أنها مجرد صدفة! ولكن كيف تكون صدفة؟ مستحيل!"

– "انتهت قصة اليوم يا أولاد وسأكافئ من يفعل مثلما فعل عاصم وأصدقائه اليوم من مساعدة الفقراء ".

انهت كلماتها فوجدت سالي معلمة الرياضيات تطرق الباب ثم تدخل وتخبرها بأن هناك طفل ما ينتظرها في غرفة المعلمين .

–"حسنا يا أولاد انتهى صف اليوم أراكم غدا" قالتها ثم خرجت متجهه نحو غرفة المعلمين فلم تجد أحدا إلا سالي، ووجدت أيضا صندوق ورديا لطيفا مثل صناديق الأطفال في المكان المخصص لها .

ابتسمت عندما رأته ثم قالت: "هل تركها وذهب ؟ "

–" نعم، قال لي أن في الصندوق كل شيء"

قامت أسما بفتح الصندوق فوجدت ممحاة صغيرة وشخصية كرتونية كان يتم تشبيهها بها في طفولتها من قبل عاصم! وصندوق هدايا صغير جدا للزينة تتذكر أنها أعطت الصف كله صناديق صغيرة للزينة في الصف الثاني ابتدائي، ولكن يوجد أمامها الآن صندوق باللون الأحمر، كانت أعطته لعاصم لأنه كان يحب ذلك اللون ولم تعط هذا اللون لغيره! والممحاة ! لم يذهب من ذاكرتها ذلك الموقف الطفولي البسيط عندما احتاجت لممحاة في الصف كان سيعطيها لها عمرو فقام عاصم بأعطاء ممحاته لها وهو ينظر لعمرو نظرات غاضبة لم تنساها حتى اليوم.

كل تلك الأشياء كلها لها علاقة بعاصم!

غضبت أسما ثم قالت معاتبة نفسها : "أسما" ما هذا الذي تفكرين به ! كفاكِ من خيالات الطفولة تلك، وكفاكِ عاصما، إنها مجرد هدايا من طفل لديك، إلى متى ستظلين تفكرين في عاصم في كل شيء تفعلينه في حياتك! "

لاحظت وجود ورقة في قاع الصندوق، بادرت إلى فتحها فكانت رسالة:

"لست جيدا في كتابة ما أشعره وأريد قوله، لكن يكفي أن أعلم أنك تذكرتني عند رؤيتك لتلك الأشياء مثلما أراها وأتذكرك دائما، "أسما" لم يكن بيننا في يوم شيء أكثر من الصداقة في الطفولة ، وبعد الابتدائية لم أعد أعلم عنك شيئا، رأيتك مرة، أو مرتان على مدار تلك السنوات الكثيرة صدفة، كنت أنظر إليك من بعيد ومازال شعوري في كل مرة أراك فيها مختلفا عن رؤية أي فتاة غيرك. كنت أفتخر من داخلي عند حديث جارتنا عند رؤيتك، وأنك فتاة مهذبة ولم ترى مثل أخلاقك، وبدون حديث أي شخص يكفي نظرتي لك، يجب أن تنتهي قصة الحب البسيطة تلك بسعادة في الحلال، كل ما أستطيع قوله لك، انتظريني في مثل هذا اليوم الأسبوع القادم لمقابلة والدتك مع عائلتي ، ولا تقلقي على لؤي ، هو فقط مريض قليلا .."

مع كل كلمة في الرسالة كانت تتسارع نبضات قلبها من السعادة ولكن في النهاية علمت بأمر لؤي! هل لؤي حقا يقرب لعاصم! كانت صدمتها بالرسالة لا تقل عن صدمتها بمعرفة ذلك.

ما إن رأتها سالي حتى شعرت أنها أنهت قراءة الرسالة فقالت لها : "لؤي هو سبب معرفة عاصم بأنه بطل قصصك، قال لي عاصم ذلك قبل أن يترك الصندوق هنا ويطلب مني مساعدته، لا أعلم كيف حدثت تلك الصدفة، لكن كنت أشعر أنك في يوم ما ستتزوجين عاصم منذ طفولتنا كنت أشعر بذلك ، سامحيني على مساعدتي له على أي حال" ثم نهضت مسرعة وتركت أسما.

"هناك حكايات نحن من جعلنا أنفسنا أبطالها ولم نكن نعلم أننا أبطالها بدون محاولة" كتبت تلك الكلمات في مذكراتها وهي تنتظر مجيء عاصم وعائلته لتبدأ بطولة قصتها.

مِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ .. حسن كشاف .. المغرب

تنحنح من مكانه عامدًا متعمِّدًا، صدق توقعه؛ فقد تابعته عينا المراقب الشاب، "هذه اللحية لا تجلب لي غير المشاكل!" هكذا فكر وهو ينظر إلى تحركات باقي المترشحين. تذكر النصائح التي قدمت له للتعامل مع المراقبين: "لا تظهر عضلاتك.. لأنه في موقع سلطة، وأنت الأضعف! إن كشف أمرك وباءت محاولة غشك بالفشل؛ بادر بابتسامة خفيفة وتقبل ردة فعله.. ومن المحتمل أن يغض عنك الطرف في المرة المقبلة، حاول تجنب إبراز مرجعياتك إزاء النصوص الفلسفية خصوصا الدينية منها .."

رنّ الجرس، وزعت أوراق الامتحان، أمسك ورقته، نظر إليها بغرابة.. قلب صفحاتها الأربع، وقف عاجزا، كان يتوقع هذا السيناريو، اللغة الإنجليزية نقطة ضعف كبيرة من نقط ضعفه التي لا تنتهي.. وتذكر مقولات شيوخه، عندما كان يناقش مع زملائه موضوع اللغات، ويتغنى بكون اللغة مفتاحا لفهم العالم وإدراكه، وكيف كانت ردودهم التنقيصية: "مالنا ولغة الإفرنجة الكفار.. ؟!"

لم تفاجئه الأسئلة.. فلم يفهم أيا منها.. غير كلمة في آخر سؤال خاص بالتعبير الكتابي " **Writing**" علم من خلالها أن الموضوع الذي طلب منهم الكتابة حول

يتمحور حول القراءة. اغتبط بعض الشيء وقال في قرارة نفسه: حمدا لله على الأقل سنحارب الصفر ..

التفت يمنة، التفت يسرة، كل المترشحين منهمكون في قراءة نص الانطلاق والأسئلة المرفقة به، بعضهم شرع في الكتابة من أول وهلة.. كان يحسد فيهم القدرة على فهم هذه اللغة والتعبير بها..

أخذ يتفرس في القاعة، قرأ كل ما كتب فيها من خربشات وأبيات شعرية وأحكام.. أحرجه بعض ما كتب. في خط متواز معه، جلست مراقبة تتجاذب أطراف الحديث مع زميلة لها، تقهقهان بين الفينة والأخرى، فيرفع الجميع رأسه ثم يعود كل واحد لورقته من جديد. لم يكن ينتظر إلا الفرصة السانحة لاستخراج ورقة حول الموضوع نفسه، وأخذ يتساءل: "يا الله في أي جيب وضعتها" ؟؟ وأُجْبِرَ على عصر ذاكرته، لتعود به إلى مجريات يوم أمس، متذكرا ذلك الكم الهائل من الأوراق التي تزود بها من المكتبة المجاورة لبيته، وكيف وزعها على جيوبه الكثيرة..

قرر أن يتريث قليلا، حتى يبدأ الآخرون في المحاولة، سيضطرون إلى ذلك عاجلا أم آجلا، بعد أن يفرغوا كل ما في جعبتهم، هكذا فكر وهو ينقل بصره بين باقي المترشحين والمراقبين: "يجب ألا أكون الضحية الأولى؛ فالضحية الأولى بمثابة جس لنبض المراقبين".

انتظر ابتعاد المراقب الثالث، وبحركة خطافية.. استخرج ورقة مدسوسة في جيب سترته، وبسرعة البرق صارت الوريقة تحت ورقة الأسئلة، لم تفطن إليه فأحس بالغبطة وتنفس الصعداء: "أف.. كدت أفضح.."

وأخذ يلقي بنظراته السريعة إلى الوريقة، ثم يعمد إلى نقل ما علق بذهنه من حروف إلى ورقة التحرير ببطء وعجز شديدين. وعلى حين غرة وأثناء انشغاله بهذه العملية، وسرحانه في تعويضات الشهادة.. تفاجأ بيد تمتد سريعة لترفع ورقة الأسئلة، ثم تلتقط الورقة الصغيرة..

وقف مشدوها ولم يحرك ساكنا، ثم بادر بالابتسامة المعلومة ولسان حاله يقول: "يا ويلي، أين أولي هذا الوجه المزغب الآن؟!"

انحنى المراقب وهمس في أدنه: "هذا تلبس بالغش !! وأنت تعرف عواقب ذلك لا شك..؟! "

لم يحرك ساكنا، واكتفى بإيماءة تدل على الإذعان.. فأردف المراقب: "أنت رجل دين يا حسرة؟"

ـ "إمام لمسجد.." نطق في خشوع ليميل إليه قلب المراقب.

ـ "إمام!! الله أكبر!! " وتخطب في الناس: "من غشنا ليس منا"

ـ لا أخفيك أني لا أوظف هذا الحديث فهناك من الأحاديث ما لم يعد يتماشى وسيرورة العصر، كما أن هناك من الأحاديث الضعيفُ، قالها وهو يحس بأن عضلاته تستعرض.

ـ أنت أعلم منا بصحة الأحاديث!؟ فهلا تفضلت ودللتنا على ما يبرر ما تقوم به!!

ـ قد لا يشرع ما أقوم به تمام التشريع؟

ـ وماذا يفعل إذن؟!

ـ يجعلك تكون أكثر تسامحا معنا.. قالها وعلت محياه ابتسامة خبيثة..

تبسم المراقب وهو ينتظر الشاهد، وقد بدا مندهشا من كلام يصدر عن إمام مسجد.

أشار إلى ورقة تحريره وقال: "تعاونوا على البر والتقوى"

انتفض المراقب: "أكمل الآية؟؟"

وقبل أن تتعثر الكلمات في فم الإمام، رن جرس انتهاء الوقت المخصص لإنجاز الاختبار.

فنجان قهوة .. صليحة حمودي .. الجزائر

تبعثرت الكلمات داخلي لا أعلم أي طريق أسلك و لا أي حياة أختار، أجهل ماذا أكتب وكيف سأكتب جالسة على ذلك الكرسي وحيدة، أتأمل المارة أختلي بفنجان قهوة اللقاء. كان يوما غائما ممطرا كذلك اليوم الذي به اجتمعنا ...

أسباب الرحيل مجهولة كذلك السبب الذي جمعنا ،صدفة القدر ربما اختار أن نلتقي على فنجان قهوة يشهد على لقائنا لم أعشق القهوة يوما، ولكن أدمنتها بشكل جنوني حين اكتشفت أن سكر القهوة المرة رجولي لتلك الدرجة .

أتذكر حين التقينا كنت متوترة لدرجة لا توصف، حتى حين أخذ النادل طلباتنا خجلت أن أقول لك أني لا أحب القهوة و شربتها رغما عني، و لكني عشقتها لعشقي لك حتى أنني بت أطلب نفس القهوة في كل مرة. أتتذكر أنه في إحدى المرات ظن أننا متزوجين في تلك اللحظة شعرت أن قلوبنا نبضت رغم أننا لم نصل لتلك المرحلة بعد، جميل هو الحنين فكمية الوجع التي ينتجها تدفئ بعض الشيء أوصال قلبي الجليدية.

مشاعر مبعثرة و أحاسيس لا ألفاظ تسعها ولا كلمات تعبر عنها، كيف لنا أن نواصل، متى موعد اللقاء! أقرب طريق للشفاء هو اللقاء. صف لي عنوان بيتك وسآتي إليك بين العاشرة ومنتصف الليل، نجلس ونكسر روتين لقائنا ونخون عهد القهوة، نراقب تحرك

القمر الذي يختفي مرارا كاختفاء ملامحك، كيف لي أن أجدك صف لي مكان خلوتك و سأختلي بأفكارك التي أجهل في ماذا تشغلها. عزيزي ألم أخبرك؛ قررت زيارة طبيب نفسي، سأختلي به أيضا أشكوا له مشاكلي المملة، لا تقلق لن أشكوك له، سأشكو حبي له، سأشكو قلبي له، ألن تتجرأ وتعطيني عنوانك، أريد أن أختلي بك وأقرا لك اقتباسا على ضوء القمر، أظنك تخافني، لم أكن أعلم إنني وقعت بحب جبان يخاف فتاة تطلب عنوانه، هيا عزيزي ألن تفعلها! ارسم لي خارطة صغيرة توجهني لمنزلك، وسأبحث عنك، أريد أن أشعر ببعض الفوضى في حياتي.

ألم تقتنع بعد ! لماذا ترمقني بنظراتك الجميلة هذه؟

أنت تشعرني بالعجز ما رأيك أن أتغزل بعيونك وأقرا لك بعض الشعر:

"عشقت و قلت لزمان حبك عشقتك، فبت لي في الدنيا مخرجا،

أحببت يا دنيا اسمعي، إني لا أخافك فاجمعي شياطينك و استسلمي، حنين يحنو لحنان قلبه فلولا حنين قلبه لبت الآن ميتا، ببعدك أصبح عقلي شاردا وشرود فكري بك معلق "

لم يرق لك صحيح لن استسلم، انتظر سأقتبس لك من أفضل رواياتي "أنت لي" عنوانها جميل أرأيت يليق بك لأنك لي.

لا تبتسم فعقلي لا يتحمل تفاصيل ضحكتك و استقامة أسنانك.

رغد حين خطفت وأنقذها وليد؛ قال: عانقتني حتى شعرت أنها ستخترق عظام صدري.

هيا ألن تتجرأ! عانقني وأعدك أني سأخترق عظام صدرك...

سحرة فرعون .. عبدالله محمد عبدالله .. مصر

هناك في إحدى البقاع الصحراوية، في جنوبي أرض مصر يتقدم رجل على جواده، ليشق السكون ويخلف غيمة من الغبار المتطاير خلفه، يتقدم باتجاه إحدى المعابد التي تقف شامخة في وسط الصحراء، يصل بعد عناء إلي أرض المعبد الحجري الضخم، والذي يوجد علي بوابته تمثالين عظيمين من الحجارة وكأنهما يحرسان بوابة المعبد، فيعدل من هندامه ويبطئ خطى جواده ليدخل في شموخ وعظمة، و ما إن يخطو جواده داخل المعبد حتي يتراص جميع من به على جانبي الطريق، و ينحنوا في إجلال و وقار و هم يرددون في خشوع و بنغمات مدروسة"

يحيا إلهنا فرعون...يحيا ملكنا فرعون" لا يلقي لهم الرجل بالا و يتقدم في شموخ إلي نهاية الممر و الذي يؤدي إلي قاعة كبيرة ما إن يصل إليها حتي يترجل من علي حصانه و يتقدم في خطوات عسكرية إلي منتصف القاعة و التي ما إن وصلها حتي يتقدم إليه فوج من الرجال في صدرهم رجل طاعن في السن يبدو عليه أنه كبيرهم و ينحنوا جميعا أمامه فليقول بصوت أجش كله كبرياء" يبدو أنك الساحر حوري؟ أليس كذلك؟" ليقول الراجل الذي في صدر الفوج "نعم يا سيدي أنا عبد مولاي و سيدي فرعون، حوري" ليرد عليه الرجل "أنا مبعوث الاله فرعون و احمل إليكم رسالة من ملكنا المبجل وعليكم

السمع و الطاعة" كان حوري يعرف سبب مجيئ رسول الملك إليهم فالأنباء تنتشر في أرض مصر عن الرجل الذي تحدي فرعون في قصره، ذلك الساحر الذي يدعي موسي ولكنه فضل الصمت و الاستماع لرسالة الملك، ليقوم المبعوث بفتح ورقة ملفوفة و يبدأ في إلقاءها علي حوري ورجاله :

"باسم إلهكم و ملككم و ربكم الأعلى فرعون، إلى سحرة فرعون في أرضه.

يأمركم جلالته بالحضور إلي قصره المنيف في غضون ثلاث ليالي لملاقاة ذلك المخبول الساحر موسي، والذي تحدي ربنا و ربكم فرعون، علينا الإبلاغ و عليكم السمع و الطاعة "

ثم يتبع المبعوث كلامه قائلا "هذه رسالة مولانا فرعون إلي حوري وسحرته وفي حالة عصيان أوامره فسيأتي إليكم جيش لا قبل لكم به ليهدم ذلك المعبد على رؤوسكم الصدئة، ليخبره حوري أنه سيجمع رجاله، وسيكون في حضرة جلالته خلال تلك الفترة، ثم ينحني له حوري ويتبعه رجاله، ليغادر المبعوث المكان بعد أن أبلغ رسالته.

كان حوري رجل في عقده الخامس لكنه كان ذا عقلية جبارة وألاعيب تشيب لها الولدان، أخذه جنود فرعون وهو صغير من والديه ليتلقى فنون السحر وألاعيبه، في ذلك المعبد وبالفعل تلقي فنون السحر و برع فيها، بل إنه جدد فيها حتي ذاع صيته، وعينه هامان وزير فرعون كبير السحرة في طيبة – الاقصر حاليا– وكان حوري يعرف جيدا أن تلك هي الفرصة السانحة له، ولعشيرته لتظهر قوتها أمام فرعون نفسه، حيث أنه يدرك

أهمية ذلك الحدث بالنسبة لفرعون فموسي يهدد ألوهيته وعرشه، فأخد حوري يحشد رجاله و يختار أعتي السحرة وأبرعهم ليتقدم بهم إلي قصر فرعون .

ما إن وصل حوري لقصر فرعون حتي أستقبله هامان وأجلسه في قصر صغير بجوار قصر فرعون، ليجد حوري أن فرعون قد جمع سحرته من شتي بقاع أرض مصر، هناك من هم من القرم وآخرون من العريش و هناك سحرة الإسكندرية وآخرون.. هنا أدرك حوري أن فرعون يستعد للقضاء علي موسى تماما، ويعزز ألوهيته، والذي كان حوري لا يؤمن بها بعض الشيء، أخذ حوري يجهز رجاله ويدربهم حتي يكونوا نجوم اللقاء، ويسطع نجمهم أمام فرعون، إلي أن جاء الموعود إنه يوم الزينة، اليوم الذي تواعد عليه فرعون وموسي، بدأ حوري يشحن رجاله بالطاقة و الحماسة أخد يبين لهم أهمية هذا الحدث .

كان قصر فرعون ذلك اليوم يعج بالحشود والجماهير العريضة، الكل يريد أن يرى هزيمة موسي، الكل يريد أن يري الإله و هو يعاقب متحديه والكافرين به، يتقدم موسي وبجانبه أخوه هارون في تواضع وبساطة، غير عابئين بتلك الشتائم التي تكال إليهما، يتقدمون في ثقة جلية، ينظران باتجاه فرعون الذي أعتلى منصته، جالسا علي كرسيه الذهبي المرصع بالجواهر، وفي عينيه نظرة تحد، ثم ينظر موسى باتجاه الحشود ليقول لهم "يا أيها الناس أمنوا بالله رب العالمين ربي وربكم ورب فرعون إنه القوي المتين " لكنه لم يلقي منهم ردا إلا السباب و في الوقت ذاته يأذن فرعون لسحرته بالدخول،

يتقدم سبعون ساحرا من أعتى السحرة التي جادت بهم أرض مصر، يتقدمون في غرور و كبرياء، فيقفون أمام موسي وأخيه ومن ثم يلتفتون إلي فرعون ساجدين له ليحدثهم قائلا: "عبادي المخلصين، إن انتصرتم الليلة فإن لكم أجرا عظيما، ستكونون من المقربين عندي" هنا لمعت عيون السحرة؛ إنها فرصتهم المال والسلطان في مرمي البصر، رضا الإله ونعيمه والتمتع تحت ظل عرشه يلوح في الأفق، فقط لقاء الانتصار علي موسي، إنها معركة محسومة من قبل سبعين ساحر أمام رجل واحد، هي معركة معروفة نتائجها.

التفت السحرة إلي موسي ليتقدمهم حوري الذي كان أكبر السحرة سناً وأقربهم مقاماً من هامان ليقول لموسي: "إنها نهاية سحرك يا موسي، اختر يا هذا أما أن تلقي أنت و أما أن نكون أول من القي" ليرد موسي في ثقة :" لتكونوا أنتم أول من ألق" فيبتسم حوري ثم يشير للسبعين ساحرا من خلفه... إن حوري برغم كبر سنه وقصر قامته إلا أن له تأثيرا شديدا و قويا على غيره من البشر. كان لدى حوري طريقة خاصة في السحر هي التي جعلته المقرب لهامان...

الحقيقة أنها لم تكن سحرا خالصا، بل كانت حيلة وخدعة بسيطة لكنها خفية عن الجميع، كان يملأ عصيه و حباله بمادة الزئبق فتأخذ الحبال في الاضطراب و التحرك فيخيل للرائي أنها حية تسعي، وتتحرك فيسحرون بذلك أعين الناس، كانت حيلة غير معروفة ابتكرها حوري فتميز بها عن غيره من السحرة و الكهنة.

ألقي السحرة حبالهم وعصيهم، وحوري يصيح بصوته الجهوري و ملامحه الجامدة "بعزة فرعون إلهنا إنا نحن الغالبون" فأخذت الحبال والعصي تتحرك كأنها حيات، كان موسي يشاهد ذلك بعيون ثاقبة، وما إن انتهي السحرة حتي قال حوري لموسى: "فلتظهر لنا سحرك يا موسي" فيبتسم موسي و هو يقول بصوت عذب تكاد تذوب من شدة حلاوته: "بسم الله ربي وربكم، بسم الله الغالب، بسم الله القوي المتين،،، بسم الله الرحمن الرحيم" ليلقي بعصاه فإذا هي بحية عظيمة تتحرك لتلقف عصي وحبال السحرة، وسط دهشتم و فزعهم، الجميع أخذته الدهشة، وتسرب الفزع لقلبه، إن إلههم ينهزم شر هزيمة.

و ما إن انتهت الحية من ابتلاع عصي السحرة وخدعهم حتي أخرج موسي يده من جيبه فإذا هي بيضاء كالقمر بيضاء لا تشوبها شائبة، إن السحرة فقدوا السيطرة علي مفاصل أفواههم، إن حوري والسبعين ساحرا من خلفه يدركون جيداً أن هذا ليس بسحر، إنهم يدركون خبايا السحر جيدا، فهم العتاة الأعلمون بالسحر، ويعلمون إن هذا ليس بسحر إنما هي معجزة، بدأ الرعب يظهر عل وجه فرعون، والعرق يغزو جسده، كأنه يقف في وسط النيران، واحتقن وجهه، إنه يعلم أن هذه ستكون عاقبته وخيمة. بدأت الدموع تسيل من عين حوري وقال بصوت كله ندم و خشوع: "أيها الناس إن موسي ما هو بساحر، إنه صادق القول، أيها الناس إننا الأعلمون بالسحر، وهذا الذي جاء به موسي ما هو بسحر، إنه على حق مبين"

هنا تنفر عروق فرعون وتبرز وتجحظ عيناه ويصيح بصوت مرعب مهدد: "فلتصمت أيها الداعر، سأريك غضبتي أيها الفاسق الكافر، سأريك عاقبة من يكفر بفرعون" ثم يلتفت للجماهير التي صعقت كأنما شاهدت وحوشا أسطورية للتو، إنهم لا يفهمون ما يحدث لا يصدقون أن يهزم إلههم، فيصيح فيهم فرعون: "إنه أنا ربكم الأعلى، ما علمت لكم من إله غيري" فيقاطعه السحرة بصوت واحد كأنهم تدربوا على ذلك من قبل: "آمنا بالله رب العالمين، آمنا برب موسي وهارون" وخروا بعدها جميعا ساجدين لله رب العالمين.

إن فرعون تكاد الدماء تفجر عقله لقد انتفض من غلي عرشه كمن صعقته صاعقة للتو بدأ يهتز في عنف و غضب فصاح في السحرة "ءامنتم له قبل أن أذن لكم!! الآن فهمت ايها الكفرة إنه لكبيركم الذي علمكم السحرة"

فيصرخ فيهم هامان وزير فرعون "لقد اتفقتم من قبل مع موسي لتشوهوا صورة ملككم فرعون، إنها خطة محكمة ومدروسة من قبل، سيكون عقاب إلهنا عسيرا، وأنت يا حوري كيف تؤمن بهذا الرجل، إنك كبير سحرة طيبة أكبر المدن في مصر، كيف هذا أيها الوغد" و قبل أن ينبس حوري بكلمة؛ أمر فرعون جنوده بتطويق السحرة و الالتفاف من حولهم، ثم قال بصوت كاف لبعث الرعب في النفوس :

" سأقطع أيديكم وأرجلكم من خلاف، ثم لأصلبنكم علي جذوع النخل لتكونوا عبرة لمن عصى و كفر و لتعلموا أيُّنا أشد وأبقي "

فنظر له حوري نظرة ازدراء و هو يقول :" لن نتبعك يا فرعون فلقد جاءنا موسي بالبينات و الحق المبين"

فيتبعه أحد السحرة من خلفه قائلا: "إنا نتوب إلى الله رب العالمين، ونكون أول المؤمنين"

فيتبعه أخر :" لقد آمنا برب هارون وموسي ونرجو أن يغفر الله لنا خطايانا وما أجبرتنا عليه من سحر"

فيقول حوري :" اقضِ يا فرعون ما أنت قاض بنا، إنا لن نتبعك بعد اليوم "

فيشير فرعون إلي جنوده فتلمع السيوف والرماح في ضوء الشمس، معلنة نهاية قوم مؤمنين، فتبدأ السيوف تبتر طرف هذا وتطيح بقدم هذا، أخذت الأرض ترتوي بدماء قوم أصبحوا كافرين وأمسوا قوما مؤمنين موحدين، كان مشهدا مهيبا بحق، المشاهدين ما بين متعاطف وبين شامت، وفرعون يقف رافعاً رأسه في كبرياء وغرور، والسحرة يرددون عبارات الإيمان الممتزجة بصرخات الألم.

بعد أن انتهي الجنود من بتر أطرافهم من خلاف، أخذوا يجروهم على الأرض حتي صلبوهم علي جذوع النخل.

كان الأمر الذي يدعوا للدهشة والذي أثار وأشعل حنق فرعون أن السحرة هدأت صرخاتهم، ولكن ارتفعت عبارتهم الموحدة برب موسي، عبارات الاستجداء إلى الله بالمغفرة، كانت الدماء تفور من أجسادهم لتروي جذوع النخل، وكلما اعتقد فرعون أنهم

يتألمون، كانت أصواتهم تعلو بذكر الله، فيزداد غضب فرعون حتى قال حوري بصوت مبحوح وهو يجاهد ليخرج كلماته:"إني و رب العباد لأرى الجنة والنيران التي تحدث عنها موسي نبي الله أمام ناظري... مرحبا مرحبت أيها الموت"

ليأتيه رد من آخر: "إني والله لأري ما تري.. اللهم أقبلنا في جنتك"

كان المشهد التالي محزنا بحق، كان كافيا لأن يجعل الدموع تنهمر والقلوب ترتجف، كان السحرة يجاهدون للتقاط الأنفاس الأخيرة، بينما كانت وجوههم تشع بالنور وترتسم علي أفواههم ابتسامة صافية، وهم يسلمون أرواحهم لبارئها، صعدت روح سبعين رجل من أوائل من أمنوا بموسي، رجال جاءوا ليهزموا موسي فهزموا فرعون وضربوه في مقتل، كان فرعون واقفا بَاسِمَ الثَّغْر وأثناء خروجه من المنصة في تَشَفٍ، خرج عجوز من أهل مصر غزا الشيب رأسه ليقول:

"لقد ألهمهم رب موسي الصبر والسلوان، لقد تبدلت أحوالهم من الألم للسعادة، من الشقاء للراحة، فقط لأنهم اختاروا رب العالمين، لم يخافوا بطش ظالم ولا جبار، فلم يذقهم الله الواحد الأألم، لقد جعل الله نار ابراهيم من قبل بردا و سلاما واليوم جعل عذابهم راحة ونور، لقد آمنت برب موسي، فصاح فرعون بجنون: "اقتلوا هذا العجوز الخرف اقتلوه الآن، و ما كاد ينهي فرعون كلماته حتي انهالت على العجوز السيوف والرماح تمزق جسده كقطيع الأسود الذي نأى بفريسته. ليصيح بعدها فرعون بجنون

وشياطين الأرض كلها تلتمع في عينيه:" بمن تؤمنون؟! هل تريدون اتباع هؤلاء الكفرة الأنجاس المناكيد فتلحقوا بهم ويكون عذابي على الفاسقين؟ "

فيسجد باقي الجموع في خوف قائلين "نؤمن بإلهنا فرعون.. نؤمن بملكنا فرعون" وهكذا يبتسم فرعون من جديد وهو يقف في غرور وكبرياء ثم ينظر للسماء متحديا و هو يقول" فليرني رب موسي هذا ما بوسعه فعله "

للخيانة وجه آخر .. فاطمة السادات .. مصر

تجلس "عنود" باسترخاء وكأنها أنجزت مهمة شاقة على عاتقها. تتصفح مجلاتها الإجرامية، وتقرأ الحوادث الغريبة بتلذذ عجيب. تغلق المجلة وتغلق عينها وتسترجع شريط الإجرام التي نفذته علي حبيبها "حسم".

ذلك الشاب المدلل إلي قلبها وعقلها، والذي وهبته كل ما يحتاجه لبلاهته الجميلة التي تحبها فيه. و"حسم" رغم دمامته فقد وقعت في حبه؛ لأنها لمست فيه عقل الطفل وقلب الرضيع.

تفتح عينها وتنظر إلي أقصى الطرقات المتداخلة في بيتها وكأنه سيأتي أو يبعث من جديد. تنظر بحسرة إلى ذكريات ماضيها وتستوقف للحظات وتقول: أنه يستحق أن يسحق سحقا حتي تذوب أعضاء جسده. وعنود فتاة ذكية ذات قلب عطوف على الحيوانات تبكي عندما تموء هرة صغيرة، ويدق قلبها بشدة عندما تلمح جروا يتسكّع ليأكل ما يجده. كان "حسم" يتصنع الحب، وهي تصدقه وتلبي له طلباته، فهي فتاة أرستقراطية مرفهة لا تهمها المادة قدر ما يهمها الاحترام والتقدير." حسم" شاب ذو تربية مركبة، بعض الوقت مع أبيه السكير، وبعض الوقت مع أمه التي يميل قلبها صوب أخته "صدفة" لذكائها وفطنتها في ترتيب أمور حياتها الصغيرة؛ من أعمال التطريز للرعي

في مزرعة خالتها، والتي تزوجت من شاب يدير إسطبل المزرعة وأنجبت طفلا جميلا سُر به "حسم" جدا وسعد به.

تمر السنون وهي تحبه وتدلِّل فيه حتى تعرف " حسم" على رجل يهودي يمتلك محلا للمجوهرات وتبنى "حسم" فكريا وأخلاقيا لما رآه من بلاهة قلب وعقل خنزير. ملأ رأسه بأفكار متطرفة اتجاه منظور الحياة والعلاقات الاجتماعية بداية بالمقامرة على الخيل، مرورا بغسل أموالها في مشاريع خيرية، مرورا بعلاقته المريبة بأبنة أخ ذلك اليهودي "ديمونة" وتنكره لها ولأبنه .

وعنود"لا تدري ماذا حل بمدللها؟ ومرة بعد مرة يبتعد عنها. وفي هذه الفترات سافرت "عنود" لقضاء وقت ممتع في خلوتها الشتوية بيت ريفي وسط جبال من الثلوج. في أول يوم لها اتصلت به مرارا وتكرارا لكنه لايجيبها. ظنت الظنون وتلاعبت بها الأفكار. ومضت علي حالها تتنزه صباحا وتتزلج قبل الغروب وتبيت ليلتها بين الروايات والحكايات المسلية. وذات صباح وهي تتصفح الجرائد قرأت عنونا فرعيا حمل خبرا غريبا: "مصرع فتاة أرستقراطية بجانب النهر" فإذا بها تنظر لصورة القتيلة وفوجئت بأنها ترتدي ملابسها الشخصية والوجه مشوه، وإذا باسمها هي القتيلة.

***

نهضت من كرسيها فزعة وقالت: ما هذا؟! ماذا يحدث هناك! ملابسي..؟ ولكن من تكون تلك القتيلة وكيف ترتدي ملابسي؟ وبسرعة لملمت شتات نفسها وأسرعت

ولملمت حاجياتها وركبت القطار واتكأت بذراعيها على الشباك تترقّب رصيف محطتها.

وعلى الجانب الآخر حسم واليهودي يسيران على ممشي البحر يتبادلان حديثا طال فيه السهر لحسم موقعة عنود.

يتنهّد حسم ويقول: غدًا ستسدل ستائر المسرحية باكرًا.

ويرد اليهودي:

– نعم وسنستمتع بتصفيق الجماهير وسنجني ثمار إخراجنا.

– ستسير المسرحية كما نُسِجَ لها.

يقول اليهودي: وستقع عنود في الشباك ولن يفلح شيء في إنقاذها.

– أريد أن أرتب نفسي وأستعد لمراسم التوريث التي طالما حلمت بها.

اليهودي:

– أريد أن أتوسع أكثر فأكثر بأفكاري لإدارة هذا التوريث.

– خطتنا تسير باستقامة شعاع الشمس على وجه النهر .

اليهودي: الشبه الكبير بين "ديديام" و"عنود" كأنهما توأمان متطابقان في الشكل والنسيج الداخلي، ستكون هي نقطة الحسم في القضية، والجثة ذات الوجه المشوه التي سيعثرون عليها بجانب النهر المطل علي منزلها والتي ستكون مرتدية ملابس عنود أيضا، لن يظنوا أي ظن بأنها لعنود. و"ديديام" هي الصديقة المقربة لليهودي التي شوه وجهها عمدا، جراء خيانتها له في حفل خاص بعد سفر عنود، وذلك عندما كان يصب

اليهودي قطرات من البيرة وديديام تشعل سيجارتها قرب اليهودي فوار البيرة من وجهها حين اشعلت السيجار فأمسك الشرار بالفوار وتكاثر الشرار علي وجه(ديديام) وهي تصرخ لينقذها وهو متسمر مكانه تركها تحترق حتي الموت. ويتصل بحسم لكي يأتي ليذهب بالجثة بالمكان المتفق عليه سابقا.

علي الجانب الآخر تصل عنود وتحجز غرفة باسم مستعار حتي تصل لحقيقة ما رأت وقرأت. وفي اليوم التالي ذهبت عنود لتستطلع الأمر فذهبت لمحل مجوهرات اليهودي ودخلت لشراء خاتم ومحبس. ولفت انتباهها أن المحل غير نظيف ومبعثر ليس كالعادة. وبينما هي تنظر فإذا بسكين صغير ملقي بجانب باند الذهب فتوجست. وخرجت للبحث عن " اليهودي وحسم". ومرت الأيام وهي تحاول البحث عن حقيقة الأمر . واحتاجت لبعض أشياؤها الخاصة ولكن كيف تذهب للبيت الذي شمع من قبل النيابة؟

فكّرت أن تتخفي في الليل وتدخل البيت في الظلام. وذهبت ليلا وحاولت أن تدخل البيت ولكن الشمع. فذهبت من باب خلفي يطل علي حديقتها الصغيرة، ودخلت البيت تتحسس من شدة الظلام. وبينما هي تتحسس خطواتها فإذا بنور ضعيف يأتي من غرفة أبيها. تسير ببطء حتى تصل لباب الغرفة فإذا بها تسمع ما لا يصدق " حسم" و"اليهودي" يخططان للاستيلاء علي ممتلكات "عنود" وأيقنت أن الاثنان وراء تلك الجثة المجهولة.

اختبأت في ركن من البيت، فشاهدت حسم واليهودي يخرجان من الغرفة ويضحكان بهستيرية . استأذن اليهودي وأنصرف بينما بقي حسم بالبيت وسار للبار الصغير ليشرب نخب مخططه. وانكشفت الحقيقة أمام عنود وصممت على الانتقام من حسم أولا. فصعدت لأعلى ودخلت غرفتها وأحضرت أسيل الأعصاب مع بعض حبيبات منومها. ونزلت وهي تتحسّس موضع حسم. فسارت إلي المطبخ فإذا بحسم يأكل بعض فطائر التفاح ونهض ليحضر زجاجته من البار الصغير، فانتهزت عنود ذلك ورشت بعض قطرات من أسيل الأعصاب واختبأت حتي تنظر متي سيقع حسم في الخدعة؟

يدخل حسم مزهوا بنفسه، أخيرا سيمتلك ما كان يصبو إليه. جلس وأخذ قطعة من فطيرة التفاح، وبعد دقيقة فقط ترنح وسقط وعيناه مفتوحتان. يمر الوقت ثقيلا على عنود، وعند منتصف الليل تفيق عين حسم ولكن جسده ثقيل لا يشعر به، لا يستطيع التكلم أو الصراخ ينظر فقط ولا يعي ما الذي يحدث؟ تظهر عنود وهي آتية من جانب باب المطبخ وترمي بكلمات غير مفهومة وكأنها تدندن ينظر إليها حسم بعينيه ولكن لا يستطيع أن يتحدث فأسيل الأعصاب تمكن منه سينظر لكل شئ وسيدرك كل شئ ولكن سيظل ساكنا قابعا في مكانه. تفتح عنود ناقلها المحمول وتثبته علي منضدة المطبخ وتفتحه علي جسد يحترق ينظر حسم بشدة أنها شقيقته التي يعتبرها طفلته المدللة لقلبه تنزل دموعه شقيقته تحترق توجه عنود شعاعا من الضوء يمين حسم فينظر حسم ويري

طفلها مثبت بمسامير من رأسه ويصرخ صرخات متقاطعة وتسيل الدماء من جسده الصغير.

ترمق عنود حسم وتضع عيناها في عينيه وتقول له: لا أظن أن خيالك المريض هيأ لك أن تقوم بخدعتك دون أن تنكشف، تخطط للاستيلاء علي ممتلكاتي، لا..! لا..! لن تنال ما تصبو له..

وابتعدت قليلا وأشعلت فتيلا ثم رمته بجانب حسم، خرجت واقفلت الباب.

مصادفة .. مؤمن محمود محمد .. مصر

تقابلنا للحظات، سار القطاران خلالهما ببطء، تعالت تعليقات الركاب بأن هناك إصلاحات في الطريق. بينما أتابع وجوه ركاب القطار الآخر من الشباك. بعضها مبتسم، وبعضها متجهم، وآخر عابس أو نائم، وبقية تحلم وتفكر وتتابع مثلي. كانت هي هناك خلف النافذة المقابلة لي تماماً، تراقب وتتأمل في صمت. تلاقت نظراتنا لثوان قبل أن يتوقف القطاران معاً فجأة وفي نفس النقطة، تخيلت الكون فراغا كبيرا أبيض اللون، به خطان مستقيمان، ونحن النقطتين السوداوين نتحرك عليهما للأمام عكس اتجاه بعضنا البعض. تبادلنا حديثاً صامتاً من النظرات، كيف كتب لنا أن نلتقي في نفس اللحظة ونفس النقطة المتلاشية ليترك كلا منا أثره داخل الآخر؟ البقعتان السوداوان تتحركان رويداً، تبتلعان الحلم، وتتمزق المسافة فيما بينهما إعلاناً بالغياب. تهب ريح خفيفة.. أمد عنقي للأمام أكثر علني أحظى بفرصة.. بنظرة.. يهتز القطار فأتشبث أكثر بقوائم النافذة، أراها هناك تمد عنقها مثلي تماماً، المسافة بين النقطتين لا تكف عن الحركة، والفراق لا يكف عن رسم الأدوار لكلانا، عند اقتراب أقصى مدى للرؤية، بلغت الحالة درجة شديدة من التوتر، لو أنني أمتلك من الشجاعة ما يجعلني أقفز خارج الخط.

أميل برأسي بينما أراها بالكاد نقطة صغيرة أخذة في التلاشي، لو أننا تبادلنا الأسماء.. أو العناوين أو حتى أرقام الهواتف، تمنيت لو تعطل القطاران أو أحدهما على الأقل، فيما يبدو أنهما كالقدر الذي حملنا لنفس المكان ونفس الوقت، والقطاران يمضيان وفي داخلهما عوالم وحيوات بما لها وما عليها من أفراح وأتراح، وصفقات، وحوارات مسلية، ونداءات الباعة وغيرهم.

لكننا لم نتكلم، مضت الرحلة وأنا صامت، أستمع فقط لحديث عينيها، كانت تتحدث بسرعة عن مشاريع وارتباطات وتغيرات مصيرية، حديث لا يتفق مع قدم الطريق وصدأ القطار الداكن، كانت نظراتها توحي بثورة، تريد تحطيم أصنام العادات القديمة. للحظة فكرت بل وهممت بالقفز، لكن ماذا إن لم تقفز هي الأخرى؟ مؤكد أن ما يسري بداخلي يسري بداخلها الآن، ربما لو تعود الكَرَّة على نفس الطريق ونفس النقطة لقفزنا معاً وتشابكت أيدينا، لكنه الزمن والصدأ والمسافات.

قوارب الموت .. محمد الربعي .. تونس

كان يوما لم تشهده القرية من قبل، نساء، أطفال، رجال مجتمعين على شاطئ البحر ينتظرون عمليات البحث عن القارب، فقد هبت عاصفة هيجاء و أصبح أشلاء ممزّقة تقذف بها الرياح العاتية في كلّ الاتجاهات، فُقِدَ أثر الشباب داخل المحيط، لم يغادر الجمع مطرحهم، لمدة ثلاثة أيام وهم تحت قطرات المطر الغزيرة. بزغ فجر يوم جديد واقتربت باخرة خفر السواحل بعد إبحارها أربعة أيام، أفاق الجمع، عثر على جثث الشباب فتعالت الصيحات وأخذت النساء تلطم....

***

عاد إبراهيم إلى منزله منهك القوى يجر أذيال الخيبة وراءه فله على هذه الحالة سنتين، كل يوم يجوب أنحاء البلاد باحثا عن عمل، فإبراهيم كغيره من شباب بلده؛ متخرجامن الجامعة ولم يجد إلى حد الآن فرصته. درس ست سنوات بالجامعة، واستطاع إكمالها بشق الأنفس لتدهور حالته المادية، فوالده كان يشتغل عامل نظافة، رغم ذلك لم يحرم ابنه من أي شيء، لم يحسسه يوما بالحرمان، انتظر لحظة تخرجه بفارغ الصبر وكانت أمنيته أن يرى ابنه يعيل نفسه ليخفف عليه ما أثقل كاهله، أما إبراهيم فلا يفكر في

نفسه، يسعى جاهدا لكي يوفر شغلا محترما ليرد جميل والده، و يعينه على إخوته الصغار، سيما أنه لم تبقى إلا شهور معدودة على معاشه.

طرق إبراهيم كل الأبواب، ليس هناك مكان يوفر عملا إلا وقصده، لكن هيهات فالأمل معدوم، واليأس طرق بابه...وأمانيه أصبح من الصعب تحقيقها .

مرت الأشهر وهو على هذه الحالة، إلى أن جاء يوم كان جالسا فوق فراشه يفكر في أحلام قد أصبحت طيفا في مخيلته، سمع صوت بكاء، اهتز مرتعبا مسرعا إلى مصدر هذا البكاء، إنه أبوه ! نعم؛ كانت أول مرة في حياته يرى فيها دمعاته، سقطت من بين يدي أب إبراهيم المرتعشة ورقة منكمشة، أخذها و قرأ ما فيها، إنها ورقة معاشه، ولكن ما كان هذا يبكيه، مرتبه كان مائة دينار، بعد أن اشتغل أربعين سنة حصل على هذا المعاش الزهيد، ماذا يفعل بهذا الدخل ! هل سيكفي لسداد تكاليف دوائه هو وزوجته "الخالة خديجة" ؟ أو لتكاليف دراسة إخوته الصغار "تيم" و "ياسر"؟ أو حق الإيجار؟ احتضن أبراهيم أباه ومسح دموعه، وقبل جبينه وغادر المنزل متجها إلى مكان معزول، فالليلة يجب عليه أن يتخذ قرارا لا رجعة فيه، قرار كان مترددا فيه منذ سنوات، حان الوقت ليرحل خارج البلاد، فمظلمة أبيه كانت القطرة التي قد فاض بها الكأس، ما كان يتصور يوما أن يرى والده في تلك الحالة، حان وقت الرحيل لمصير مجهول...

في اليوم التالي باع ما كان يملكه وجمع مبلغا محترما قد طلبه منه أحد منظمي سفرات المراكب غير القانونية، لم يخبر أحدا لأنه كان متأكدا من اعتراضهم له، عاد

إلى منزله بعدما اتفق مع منظم الرحلة أن موعد الرحيل سيكون في ساعة متأخرة من الليل، جلس إبراهيم مع عائلته و كان ينظر إلى كل واحد منهم على حدى، وكأنه أول مرة يراهم، كان يحدق بكل ركن من المنزل البالية جدرانه، كرسي والده، ألعاب إخوته الصغار..

حان وقت النوم ذهب إلى غرفة إخوته وقبلهم واحدا واحدا، ذهب إلى أمه وقَبَّلَ يديها و قال لها لا تنسيني من دعائك حبيبتي فغدا يوما محتوم، لدي جلسة عمل وسوف تتحقق أمنياتي، ذهب إلى والده قبَّله كعادته على جبينه وقال له حبيبي لا تفكر في المعاش أنا سأكون سندك بإذن العزيز الجبار، نام كل من في البيت إلا إبراهيم؛ كان جالسا في مكتبه يكتب بعض الكلمات، وضب حقيبته ووضع فيها "فولار" أمه الذهبي و سجادة أبيه، لتظل دائما رائحتهما الزكية تداعب أنفه. خرج من المنزل ونظر إليه نظرة أخيرة بعد أن ودع كل ركن فيه، وصل إلى المكان المتفق عليه وكان منزلا مهجورا على ضفاف البحر.

تعرف إبراهيم على الشباب الذين سوف يهاجرون معه، هذا "محمود" في العشرين من عمره، منذ طفولته وهو يعاني من قصور قلبيٍّ حاد، ليس هناك سبيل إلا لزراعة قلب جديد، قضى عشر سنوات ينتظر دوره ولكن دون جدوى، ففي وطنه يعتبر التبرع بالأعضاء إثما كبيرا، لذلك اختار الرحيل لمطاردة الموت والعيش بقلب جديد سليم، وذلك "سامي" شاب في الثلاثين من عمره، أمله كان الزواج من توأم روحه، فهما

مخطوبان منذ سبع سنوات ولقساوة ظروفهما المادية لم يستطيعا أن يفتتحا عش الزوجية معا، وذلك "بلال" شاب زنجي اختار الرحيل وأمنيته الوحيدة أن يعيش داخل وطن لا يتم فيه تمييز عنصري بسبب لون بشرته.. اختلفت أمنيات الشباب و لكن ما كان يجمعهم واحد.

لعنة الصاما .. هارون قاسمي .. الجزائر

لم أستطع الإجابة على السؤال الأخير.. فقط وضعت رأسي على جدار الغرفة واستسلمت للنوم من شدة التعب.. استيقظت بعدها على صوت إطلاق النار في كل مكان، و في كل الاتجاهات، وكأن حربا قد قامت للتو.. تباً.. أظن أننا في منتصف الليل.. بدأ رجال الشرطة في الصراخ لوقوع ضحايا بينهم.. عندها دخل الشرطي قبل قليل ومعه المرقي وهو يقول: يجب أن تقتله سيدي الضابط! لن يتوقفوا عن قتلكم إلا إذا قتلته.. إنه هو المسؤول اقترب الشرطي مني بينما تواصل صوت إطلاق النار، الذي لم يتوقف منذ دقائق...

***

استيقظت الساعة ١٢:٠٠ بعد منتصف الليل على صوت سيارة الإسعاف وهي تمر بجانب منزلنا محدثة فوضى كبيرة، لبست ثيابي و خرجت من المنزل بسرعة لأرى ماذا حصل و عند خروجي مباشرة وجدت رجال الأمن منتشرين في كل مكان و كأن حرباً قد قامت أو على وشك أن تقوم ، فيما أكملت سيارة الإسعاف إلى نهاية الشارع حيث يوجد " الجنان" مزرعة تخلى عليها(عنها وليس عليها) صاحبها وأصبحت مكان للمنحرفين و بائعو المشروبات الكحولية خرج بعدها معظم الجيران و اجتمعوا أمام مسجد القرية مشكلين مجموعات صغيرة تتكون من شخصين إلى أربعة أشخاص وكلهم يطرحون نفس السؤال، ماذا حصل؟

اقتربت من أحد الجيران واسمه رياض، كان شرطيا في السابق وأعفي من مهامه بسبب تهمة سرقة سيارة أحد الضبّاط القدامى، المركونة في مركز الشرطة منذ مدة طويلة ، كان ذلك قبل سنة و نصف من الآن ، سألته مشيرا بيدي إلى الجنان:

– ماذا يجري هناك؟

– اقترب مني وقال بصوت خافت:

– عثروا على طفل صغير مقتول خارج القرية..

ونظر إلى جانبه ليتأكد وجود أي شخص قد تصل الجملة الأخيرة إلى مسامعه، وتابع كلامه "أظن أنه يوجد طفل آخر في المزرعة"، وبدأ في سرد تفاصيل جثة الطفل الأول.

لم أستوعب كلام رياض الأخير فقط دخلت في حالة من الرعب والذهول محاولا إيجاد أجوبة لبعض التساؤلات ، لماذا كل هذا العدد من الشرطة من أجل جثة ؟ كيف اشتبهت الشرطة بوجود جثة في " الجنان " ، هل توجد جثة أخرى في مكان ما آخر؟

لم أستطع الإجابة على هذه الأسئلة و لم يتوقف رأسي عن طرح أسئلة مشابهة لها، طلبت من رياض أن نقترب قليلا من نهاية الشارع حيث يتمركز أكبر عدد من أفراد الشرطة، رفض رياض طلبي وأصر علي أن لا أذهب إلى هناك بداعي أني سأعيق عمل الشرطة، وحذرني كذلك بأن لا أتفوه بأي كلمة مما قاله لأي شخص و انصرف صوب منزله، أحسست أن

رياض يعلم ما يوجد داخل الجنان أو أنه ندم على الكلام الذي قاله لي، و كأنه أخطأ عندما أخبرني بكل تلك التفاصيل المتعلقة بجثة الصبي الذي لم يتجاوز الأربع سنوات.

أردتُ أن أرجع إلى المنزل لكن الفضول كان أكبر مني، فاقتربتُ من مجموعة أخرى تتكون من شابين وشيخ كلهم جيراننا، طلبت منهم أن نقترب قليلا لنرى ماذا يوجد داخل الجنان لكن قبل أن يوافقوا على طلبي أو يرفضوه خرجت سيارة الإسعاف من الجنان متجهة نحونا بسرعة البرق، وتلتها كل سيارات الشرطة التي كانت هناك، توقفت السيارة أمامنا مباشرة ونزل أعوان الحماية منها يحملون النقالة ويتجهون إلى داخل المسجد بسرعة، بدأ عون الشرطة بالصراخ كي نبتعد عن المكان، فيما طوق باقي أفراد الشرطة المسجد من كل الجهات، ابتعدنا قليلا عن المكان وبدأنا نراقب و ننتظر ماذا سيحصل، بعد قليل خرج أعوان الحماية المدنية يحملون النقالة فارغة وعلامات اليأس بادية على وجوههم، وكأن ظنهم خاب مرة أخرى، إلا عون واحد يبدو وكأنه رئيس المجموعة كان يتحدث على الهاتف مشيرا إلى المسجد بيده وهو يقول:

– أنا في المكان الذي قلت عنه، أين أنت؟!

وبعدها بدأ يصرخ مخاطبا هاتفه:

– لم نجد شيئا في المزرعة ولا في المسجد، لكن لن يفلتوا من قبضتي هذه المرة –توقف قليلا عن الكلام– سأخبرك سيدي على كل المستجدات. و أقفل الخط.

بدأت نسبة التوتر والخوف ترتفع لدى الجميع بمن فيهم أفراد الشرطة، لا أظن أن أحدا يعلم ماذا يجري أو ما سيحدث، الجميع في حالة تأهب. بدت لي وكأنها عملية اختطاف أو أن شخصاً ما يتلاعب بهم حول مكان جثة ما أو شيء من هذا القبيل.. بدأ ضابط الشرطة في الصراخ على الحضور مستعملا كل أنواع السب و الشتم، لكن هذه المرة يطلب منا الدخول إلى بيوتنا بأسرع وقت، و يطلب من بقية الشرطة وضع سلاحهم على وضعية الاستعداد، ثم وبدأ بالجري بالتجاه المزرعة وهو في تلك الحالة من الهستيرا والصراخ، دخل الجميع إلى منازلهم ودخلت أنا أيضا للمنزل وأغلقت الباب، أخرجت هاتفي لأتصل بأي شخص قد يفيدني بشيء ما، أو على الأقل يخفف علي قليلا حالة الخوف و الفزع اللتان تمكنتا مني، وما إن أخرجت الهاتف حتى بدأ صوت إطلاق النار يعم المكان و بشكل متكرر لا يكاد أن ينقطع، بدأت بعدها أصوات رجال الأمن ترتفع من الألم لوقوع إصابات بينهم .. بقيت على تلك الحالة لأكثر من نصف ساعة حتى توقف إطلاق النار نهائيا، وبعدها ذهبت إلى غرفتي ونمت مباشرة..

عندما استيقظ كان سكان القرية يتداولون مقتل تسعة من أفراد من الشرطة وجرح أكثر من عشرين منهم، بينما أربعة فحالتهم خطرة، حسب أخبار إذاعة المدينة، تداعي إلي صوت صراخ أمي على أخي الصغير لتمنعه من الخروج للشارع، عندها فقط تذكرت ليلة أمس وكيف استمر إطلاق النار لأكثر من ساعتين دون انقطاع، نظرت إلى الساعة وجدتها قاربت التاسعة صباحاً، خرجت من المنزل مسرعا لأرى ما حصل ليلة أمس، لكن ما إن خطوت خطوتين

خارج المنزل حتى صاح أحد رجال الشرطة، توقف مكانك..! لا تتحرك.. !تجمدت في مكاني ورفعت يدي للأعلى، اقترب مني الشرطي و بدأ بالصراخ علي مستعملا كل أنواع السب و الشتم، وكأنه يلومني على شيء قد أفسدته.. نظرت للأسفل وجدت قدمي فوق شعار كتب بالغة (بلغة أجنبية) أجنبية: « YU–RS »

بدأ الشرطي في إلقاء اللوم علي مجدداً قائلا:

– إنه الشعار الوحيد الواضح بين الشعارات كلها، وأنت أفسدته قبل أن تأتي الفرقة الخاصة بالتصوير!

رفعت قدمي عن مكان الدم، ابتعدت قليلا عن المكان ونظرت بالتجاه الشارع المقابل لأجده مليئا بالشعارات على شكل حروف وكلمات متقاطعة كتبت بدم رجال الشرطة على حسب قول أحد رجالهم، اقتربت من المسجد حيث يجتمع معظم سكان الحي وجدتهم لايزالوا يطرحون نفس الأسئلة: ماذا حصل؟ أو ماذا سيحصل؟ أخرجت هاتفي واتصلت برياض لأنه الوحيد الذي يمكن أن يعطيني تفسيرا لما حصل ليلة أمس، لم يجب رياض على الهاتف، عاودت الاتصال مجدداً .. يبدو أنه أغلق الهاتف .. بدأت بالسير بالتجاه منزل رياض المتواجد في نهاية الشارع، وبينما أنا أسير لفت انتباهي مجموعة من الأشخاص مجتمعين أمام منزل أحد الجيران الذي يعمل كراق.. لم أفهم لما اجتمعوا عنده، فقط اتجهت نحوهم واقتربت منهم ببطء عندما وصلت وجدته يوزع قارورات مياه فارغة ويطلب منهم أن

يقوموا بتعبئتها من المسجد، كي يقوم هو برقيتها و أخذ مقابل لذلك.. اقتربت منه وسألته لما يفعل ذلك ؟ أعطاني إحدى القارورات وطلب مني أن أفعل مثلهم بسرعة.

– حسنا أجبني على سؤالي وبعدها سأفعل ما تريد. قلتها له بعد أن أكمل قراءة بعض من القرآن في قارورة أحد الأشخاص ليعطيه الأخير مبلغا من المال ، أجاب بعدها:

– أننا نتعرض لهجوم شرس من الجن وإن تلك القارورة المرقية ستقينا منه. على حسب قوله؛ نظرت إليه مطولا وأرجعت له تلك القارورة وأكملت طريقي إلى منزل رياض، وأنا أتسائل في نفسي لما يوجد أشخاص يتاجرون في الأزمات التي تصيب هذه القرية اللعينة.

وصلت لمنزل رياض، وجدت والده يحمل هاتفه وفور وصولي إليه سألني مباشرة: "هل رأيت رياض؟!" أجبته بالنفي ليتبع كلامه: "رياض مفقود منذ ليلة أمس قبل بداية إطلاق النار" وأضاف: "وجدت هاتفه مرميا في بداية الشارع بعد أن اتصلت به عدة مرات"

أخذت الهاتف من والد رياض وبحثت عن آخر مكالمة أجراها، وجدتها من رقم مجهول اتصل به بعد مكالمتي معه الأخيرة، أي بعد دقائق فقط من افتراقنا ليلة أمس.. قمت بحذف مكالمتي الأخيرة معه و أرجعت الهاتف إلى والده.. أخبرته أني سأتصل به في حالة ما إن التقيت بابنه و هممت بالرحيل .. ما إن خطوت خطوة واحدة فقط حتى استوقفني بكلمة جمدتني في مكاني، والتفت إليه مباشرة:

ماذا تعني "YU–RS " ؟!

ابتسم ابتسامة خبث وأتبع: "هل وجدتها مكتوبة أمام منزلك !" قلت له بتحدي:

– وماذا في ذلك؟

أجابني بطرح سؤال: "لماذا توجد أمام منزلك فقط؟" ودخل إلى بيته تاركا الباب مفتوحا، صحيح لماذا كتب ذلك الشعار أمام بيت منزلنا فقط؟ ملئت به جدران الشوارع لكن لا يوجد أي منها في الأرض على غرار الذي كتب أمام منزلنا .. تباً ماذا كان يعني الشرطي بكلامه عندما قال أنه الشعار الوحيد الواضح..؟ ولماذا لم أنتبه له عند خروجي من المنزل قبل قليل؟هل كان ذلك مقصودا.. هل أنا هو المسؤول؟

طرحت هذه الأسئلة على نفسي وأنا في طريق العودة إلى المنزل، حيث وجدت رجال الشرطة مجتمعين هناك على أساس أنها البؤرة التي سقط فيها أكبر عدد من رجال الشرطة.. اقتربت من الشرطي الذي قام بشتمي قبل قليل وسألته عن إن كانوا قد أخذوا بعض الصور للشعار أمام المنزل.. ليجيبني بتعجب "عن أي شعار تتكلم؟"

نظرت إليه و بعدها إلى باب المنزل لم أجد شيئاً ! اقتربت من الباب لم أجد للشعار أي أثر! توجد عدة عبارات كتبت على جدران الشارع وبعض الدماء التي قام سكان الحي بإزالتها، ولا أثر للعبارة التي رأيتها بعيني في الصباح، بدأت الأمور تختلط علي، ولم أعد أفهم ما يجري من حولي، فقط رأسي يؤلمني وجسمي لم يعد قادرا على حملي .. أنا أعلم أن رياض لن يجيب على الهاتف لكني أخرجت هاتفي واتصلت به مجددا:

–آلو رياض؟

– نعم.

–أنا محمد .. أين أنت؟

–أنا في البيت لقد استيقظت للتو.

– ماذا ؟ .. أنت في البيت؟

–أخبرني والدك أنك اختفيت ليلة أمس.

– ماذا ؟ .. والدي ؟ ..محمد لا تتكلم مع أي شخص خاصة رجال الشرطة تعال لمنزلي حالاً.

أقفل رياض الخط في وجهي.. لم أجد شيئا لأفعله فقط بدأت بالسير مجددا بالتجاه منزل رياض .. استوقفني المرقي الذي كان يبيع المياه على أساس أنها ستنجيهم من الهجوم الذي تعرضنا له .. لم أعره انتباها، فقط واصلت السير .. لكنه ترك الأشخاص واقفين أمام منزله ولحق بي.. أمسكني من يدي بقوة لأتوقف وبعدها، نظر في عيني مطولا وقال: "أنت"، قاطعه رياض قائلا: "لا يمكن .. محمد قضى معي ليلة أمس بالكامل ولن أسمح لك أن تضحي به كما ضحيت بوالدي في السابق.. لن أدعك تقوم بذلك ولو اضطررت لقتلك" عندها فقط ترك المرقي يدي بعد أن تبادل مع رياض نظرات التحدي والغموض.. أمسكني بعدها رياض من يدي وأدخلني إلى بيته بسرعة وأقفل الباب خلفه قائلا: "حسنا .. محمد

أنت المسؤول عن كل ما حصل لرجال الشرطة ليلة أمس، أبي توفي قبل عشرين عاماً في حادثة مماثلة لهذه.. والمرقي هو من قام بقتله ليتوقف نزيف الدم.. وهذا ما سيفعله معك بالضبط.. لكن أعدك أنه لن يحصل هذا"

بدأت بالضحك في وجهه..

–رياض أنت تمزح أليس كذلك؟ قبل قليل فقط كنت أتكلم مع والدك هنا أمام بيتك! لتقول لي الآن أن والدك توفي قبل عشرين سنة؟!

أحكم رياض قبضته جيدا ووجهiا للجدار بأقصى قوته وهو يصرخ " أجل.. لقد أرسلوا والدي ليوجه لك الرسالة التي يريدونها منك" وأتبع والدموع تنزل من عينيه " ماذا قال لك؟

بدأ قلبي في الخفقان بسرعة ولم أعد قادرا على الوقوف، جلست على الأرض وقلت له: "لقد أخبرني أنك مفقود منذ ليلة أمس، وسألني لماذا يوجد ذلك الشعار أمام منزلك أنت فقط". جلس رياض على ركبتيه وقال بلهفة "ما هو الشعار ؟" ماذا وجدت أمام منزلك؟ كتب بالدم أليس كذلك ؟ " أجبته بالإيجاب وأخبرته أني وجدت عبارة YU–RS "

أجل .. أجل .. لم يكن هناك جثث أطفال أصلا .. كان مجرد تمويه لإحضار رجال الشرطة لقتلهم ..كنت أعلم ذلك تعني " أنت المسؤول " نعم أنت المسؤول عن قتلهم يا محمد ، لقد نصبوك فخا مكان والدي..

You'r responsible

وستقوم بالقتل لأجلهم .. و الأسوأ من هذا إن المرقي يعلم بأمرك.. لقد قاطعته عندما قال لك "أنت" كان يعلم أنك أنت المسؤول ولن يتركك لحالك حتى يقوم بقتلك كما فعل مع والدي من قبل.. اللعنة ! ماذا يحصل لي.. هل أنا أحلم ؟ أتمنى أن يكون مجرد كابوس وأنتهي منه لأني حقيقةً لم أعد أستوعب.. بدأت بالصراخ بأقصى صوتي "توقف عن قول ذلك.. أنت تريد أن تصيبني بالجنون.. من هم؟! ولماذا أقتل لأجلهم؟! كيف قُتِلَ والدك ولماذا؟

اقترب مني رياض وبدأ بالحديث بصوت منخفض قائلا: حسنا قبل عشرين سنة قام والدي رفقة ذلك المرقي اللعين بشن هجوم على عشيرة من الجن كانت تسكن في مدخل القرية.. كانت تعرف باسم "عشيرة الصاما" لذلك سميت قريتنا بعدها بهذا الاسم نسبة لهم، كانوا دائما ما يضايقون سكان القرية و يقومون بإخافتهم.. لذلك قرر والدي أن يأخذ معه المرقي ويذهب ليتفاوض معهم، لكن المرقي أراد أن يقضي عليهم مستغلا قوة والدي.. وعند فشله في ذلك قام بقتل والدي ليوقف إراقة الدماء في الأخير.. لكنهم لم يتوقفوا عند موت والدي بل واستغلوه كذلك في قتل أكبر عدد ممكن من رجال الشرطة "

–لكن لماذا والدك بالضبط؟ ولماذا ليلة أمس قتل فيها أفراد الشرطة فقط، نهض رياض من مكانه وقال: "لأن والدي كان ضابط الشرطة الوحيد في هذه القرية" وقد التحقت بسلك الشرطة لأسرق سيارته وأكمل التحقيق بنفسي" اتجه بعدها إلى الغرفة، أحضر معه مسدس وقدمه لي، ترددت قليلا وبعدها أمسكت المسدس بيدي وقلت: ماذا أفعل به ؟ قال: بكل

ثقة "ستذهب الآن إلى بيت المرقي وتقتله.. في تلك اللحظة بدأ رجال الشرطة في طرق الباب بقوة ويطلبون منا الخروج بسرعة،

– حسنا محمد .. أنا أعلم أنه صعب عليك فعل شيئا كهذا، لكنها الطريقة الوحيدة للتخلص من كل هذه الفوضى .. لن ينتهي الأمر إلا بموت أحدكما إما أنت أو المرقي أو أنك ستبقى تقتل في رجال الشرطة دون علمك مثل ليلة أمس.. أريدك أن تفكر في الأمر .. نظر رياض من فتحة الباب وقال "لقد أتى بهم المرقي ليتخلص منك" أمسكني من يدي وبدأ بالجري بالتجاه الباب الخلفي للمنزل الذي يطل على "الجنان" .. فتح الباب وقال "اذهب أنت، سأتولى أنا أمرهم.. لكن تذكر.. إما المرقي أو أنت " .. وأغلق الباب .. بدأت بالجري حتى وصلت للأشجار حيث اختبأت في إحداهن حتى حلّ المساء.. خرجت من المزرعة واتجهت إلى مدخل الشارع حيث يوجد منزلنا و بجانب منزل المرقي الذي سأقوم بقتله على حد قول رياض.. فأنا ما زلت لم أستوعب ما حصل أو ما سيحصل لحد الآن، لكن أظن أنه لو توجب الأمر سأطلق عليه النار.. بدأت أمشي بخطوات متثاقلة حتى وصلت إلى المسجد المقابل لمنزلنا لم أجد عدداً كبيرا من الأشخاص هناك فقط بعض الجيران، اقتربت منهم وسألتهم ماذا حصل هنا منذ قليل، أخبرني أحدهم أن رجال الشرطة ألقوا القبض على المرقي ..

وقاموا بتفتيش منزل رياض بحثاً عن شيء ما لم يخبرونا عن طبيعته.. سألته مجدداً : ألم يقترب أحد من منزلنا.. أجاب بالنفي، شكرته واتجهت إلى منزلنا، طرقت الباب.. فتح لي

أحد رجال الشرطة " تبا لك يا ابن اللعينة لقد أوقعت بي"، أردت أن أهرب لكن الشرطي كان قد وجه المسدس إلى وجهي، سلمته المسدس الذي بحوزتي ورفعت يدي كما طلب مني.. قاموا بعدها بتقيدي وأخذوني معهم إلى مركز الشرطة حيث أخذوا معلوماتي الشخصية، وبعدها أدخلني الشرطي إلى غرفة التحقيق حيث وجدت رياض مكبلا هناك وعلامات التعذيب بادية على جسمه، اقترب مني الشرطي الذي كان يضرب في رياض وقال "هل تعرفه؟!" نظرت إلى رياض وبعدها إلى الشرطي و أجبته بكل ثقة:

"لا أعرفه" أجبته وكأني حقيقة لا أعرف رياض إطلاقاً، لست أدري مصدر تلك الثقة أو القوة التي نظرت بها إلى الشرطي عندما أجبته.

–"حسنا سنرى.." قال الشرطي بعد منتصف الليل وخرج من الغرفة بعد أن قام بربطي مقابلا لرياض، نظرت إلى رياض و كأني أطلب منه أن يملي علي ماذا أفعل لأتخلص من هذا الكابوس اللعين، نطق رياض قائلاً بكلمات متثاقلة من شدة الألم: "أقتل المرقي قبل منتصف الليل" كيف يطلب مني رياض طلب كهذا في مركز الشرطة ! حتى وإن كنت سأنفذه كيف أفعل ذلك؟! لم أستطع الإجابة على السؤال الأخير.. فقط وضعت رأسي على جدار الغرفة واستسلمت للنوم من شدة التعب.. استيقظت بعدها على صوت إطلاق النار في كل مكان وفي كل الاتجاهات وكأن حربا قد قامت للتو.. تباً.. أظن أننا في منتصف الليل..

بدأ رجال الشرطة في الصراخ لوقوع ضحايا بينهم.. عندها دخل الشرطي قبل قليل ومعه المرقي وهو يقول.. يجب أن تقتله سيدي الضابط.. لن يتوقفوا عن قتلكم إلا إذا قتلته.. إنه هو المسؤول، اقترب مني الشرطي تحت صوت إطلاق النار الذي لم يتوقف منذ دقائق وهو متردد.. أخرج مسدسه ووضعه على رأسي، نظرت لرياض وبعدها للشرطي.. فكرت قليلاً ونزعت المسدس من يد الشرطي و أطلقت النار على المرقي عندها فقط توقف إطلاق النار.

جاك السفّاح .. داود سعيد .. الجزائر

كانت القرية الخلابة السّاحرة، المطلّة على البحر ذات التّعداد السكاني الّذي لا يتجاوز مائة ألف شخص شاهدةً على يوم تاريخيّ، ففي يوم الخميس صباحا تجمّع كلّ من في القرية بجانب المحكمة لحضور جلسة المحاكمة لجاك السّفاح المشهور؛ مدمن المخدرات وكلّ ما هو ممنوع.

كان جاك يعمل كحارس في أحد المدارس الابتدائية، أحكمت عليه الشّرطة قيضتها على التاّسعة ليلا وهو يهمّ بقتل جارته العشرينيّة الّتي غالبا ما تقوم باستفزازه ومناداته بالسّكير، تمّ فكّ اللغز الّذي حيّر سكّان القرية بعد أربعين يوما من انطلاق سلسلة جرائمه، حيث دوما ما يُعثر على ضحاياه في حوالي السّاعة الحادية عشر ليلا مُلقون في أحد المزابل العمومية، يوما بعد يوم كانت حصيلته تتجاوز العشرين ضحية بين رجال ونساء وأطفال صغار.

في صبيحة ذلك الخميس انطلق ميشال من منزله مع حوالي السّاعة الثّامنة للتّوجه نحو عقوبته الجديدة، فقد كان شرطيّا مهمّته تنظيم السّير في الطّرق الرئيسية للبلدة، وفي يوم من الأيّام انتابه حسّ العدالة وتنظيم الأمور أكثر من اللّازم فقام بغلطة حياته عندما تجرّأ على إيقاف سيّارة ابن العمدة وسحب رخصة سياقته مع تحرير مخالفة

ضدّه، بسبب سياقته وهو في حالة سكر مفرط، وما فتئ يصل إلى منزله ذلك اليوم حتّى وصلته رسالة تُفيد بأنّه سيقضي شهرين وهو يحرس الزنازين الانفرادية في السّجن عقوبة له، ماذا عساه يفعل؟ إنّها دولة القانون . وهو في طريقه إلى السّجن لاحظ الأعداد الغفيرة الملتفّة حول المحكمة، ثم تذكّر أمه وهي تحكي له مغامرات ذاك السّفاح، رغم كل ذلك الحشد، تجاهل ميشال الأمر وانطلق نحو السّجن لتأدية عقوبته.

و كحال معظم الدّول الّتي تؤمن بحريّةّ التّعبير كانت مُحاكمة جاك السفاح جدّ رمزية حيث حوكم بالسّجن المؤبّد، ولأنّه خطير زادت المحكمة نكهة انعزاله عن الآخرين .الإعدام الذي طالب به معظم سكانّ القرية لم يستطع القاضي أن يحكم به كونه إيذاء لكرامة الإنسان في دولة القانون، وجاك يضحك ويبتسم في وجه القاضي، كان أشبه بمختلّ عقليّ، خاصة وأنّه ليس لديه عائلة تبكي عليه...

كان جاك يواجه الحياة عاريا ورغم ذلك لم تستطع أن تنتزع منه ابتسامته حتى وهو في أحلك أيّامه، ثار الشّعب في الخارج بسبب هذا الحكم و خرجوا في مظاهرات يندّدون بهذا الحكم، أحرقوا العجلات المطّاطية وشتموا الشّرطة والبلاد، بينما اكتفى أسر الضّحايا بإيصال صوتهم عبر القنوات التلّفزيونية العديدة الّتي جاءت لتغطية هذه المحاكمة المثيرة للجدل.

أُخذ جاك على جناح السّرعة للسّجن كي لا يتعرّض لأي أذى من المتظاهرين الغاضبين، جاك مازال يضحك، يسخر منهم ويقول في قرارة نفسه تبّا للجميع.

وصل السّجن واستُقبل بأنظار متوجسة وخائفة، لقد اخترقت أنباء جرائمه أسوار السّجن هي الأخرى، الكلّ خائف منه، معظمهم تحاشوا النّظر في عينيه، كان الشّرر يتطاير منهما يندلع منهما رغم كونه مبتسما في أغلب الوقت، كان حقّا ظاهرة فريدة من نوعها.

نُقل بعد هنيهة إلى الزنزانة الانفرادية أين سيلتقي بالمخبول الآخر الذي تمّت معاقبته، لكن من الطرف الآخر؟ إنه ميشال.

مرّت الأيّام الأولى على ميشال وهو يحرس زنزانة أخطر شخص في القرية بسلام، كان يُحدّق فيه طوال النّهار وهو ممسك بالقضبان الحديديّة التّي تفصل بينهما، كان يتساءل في قرارة نفسه عن منبع الشّر الذي ينطلق من مثل هذا الشّخص الهادئ، هذا الّذي أمامه قام بقتل أكثر من عشرين روحا، بقيّة حياته سيقضيها وسط هذه الزّنزانة الصّغيرة العفنة، ورغم ذلك هو صامت وساكت، إنّ الهدوء بأم عينه.

مرّ أسبوع على هذه الحال، حتى سمع ميشال قهقهة عالية تصدر من جاك، طلب منه السّكوت، لكنّ جاك كان بالمرصاد، رفع ميشال صوته و صاح:

– اصمت...وإلا اضطُررت لضربك ضربا مبرحا.

هنالك لم يتمالك نفسه جاك و قال:

– تُعذب ضميرك من أجل الشيطان يا لك من بائس!

لم يفهم ميشال شيئا،طلب منه الإيضاح، لكنّ جاك التزم الصّمت وبدأ يُحدّق فيه، كان ذا شعر طويل، ملامح أسيويّة تُوحي أنهّ من سكان جبال الهيمالايا، كان ذا نظرة ثاقبة ساحرة تنسجم أيمّ انسجام مع تعابير وجهه . مر ذلك اليوم صامتا لا تسمع فيه سوى صوت صفير الرّياح، وهي تحاول أن تحمي كلّ أثر من الكلام القويّ الّذي قاله جاك لميشال.

مرّت قرابة الخمسة أيّام على تلك اللّحظة . والأمور مازالت هادئة، يبدو أنّ جاك قد عاد لعادته القديمة، ظهيرة اليوم السّادس بدأ يتمتم قائلا:

– الشيطان لم يكن لعينا يوما ما، هو مجرّد ناصح سيّئ، مخلّص من العذاب، قدوة لنا كي نتعامل مع الأوغاد.

ميشال الذي صبر مع كل استفزازات جاك، اتّجه نحوه بعد أن أكمل جملته وحدّق فيه بثبات، ظلّ كذلك لمدّة دقيقتين قبل أن ينطق قائلا:

– الشيطان هو الحلّ...

ثم وبسرعة مباغتة أخرج سكينه وطعن جاك في قلبه تم أخذ يردّد:

–الشّيطان هو الحلّ...الشّيطان هو الحلّ...

ثواني بعد ذلك ميشال كان قد خرج من السّجن وهرب بعيدا إلى أعالي الجبال.

تمرّ اليوم السّنة الثّالثة على هذه الحادثة وميشال مازال يعيش في أعلى ذلك الجبل، لكن بضمير مرتاح نسبياّ بعد قتله جاك ومدير السّجن والعمدة وابنه وكلّ من شكل عقبة

في طريقه يوما ما، ولا زال يحصد الأرواح تباعا، القرية ظلّت وستظلّ تشعر بالرّعب دوما فقد كُتب لها أن تكون مرتعا للسّفاحين .

بعد كلّ عملية قتل ستجد جملة مكتوبة بدماء الضّحية سيتذكرها سكان القرية ما داموا أحياء.

أفكار مرهقة .. محمد الصديق منيخ .. الجزائر

كالعادة تأخرت مرة أخرى في العودة إلى البيت، تعطّلت مرة أخرى إحدى الآلات في المصنع واضطررنا إلى إصلاحها حتى وقت متأخر، أو الأصح اضطررت إلى إصلاحها فأنا الوحيد الذي يعمل في هذا المصنع اللّعين.

رغم أنّنا في فصل الربيع غير أنّ الجو كان شتوياً، الأمطار تتساقط منذ ساعات والرياح تعصف بكل ما يعترض طريقها. كنت أصعد الدرجات إلى غرفتي وكلّ خطوة أخطوها أثقل من سابقتها، وصلت إلى باب الشقة، كانت هنالك كومة سوداء أمام الباب لم أعرف ما هي فالظلام كان شديدا، ويبدو أن المصباح الخارجي احترق مجدداً، عندما خطوت أمامها اتضح أنّها قطة سوداء قفزت من مكانها وقفز قلبي من مكانه. تباً لها ركلتها بقدمي إلى آخر الرّواق. توقفت واستدارت كانت تحملق فيّ بتلك النظرات الثاقبة البراقة ثم انصرفت.

دخلت الشقة ورائحة كريهة تجول في المكان يبدو أنّ المرحاض قد تعطّل مرة أخرى، لم أشأ حتى أن ألقي نظرة عليه وذهبت مباشرة إلى غرفتي لأنام. استلقيت على بطني كالمرأة النفساء وماهي إلا دقائق وغرقت في نوم عميق.

استيقظت بعد ثاني مرة يرن بها المنبه، كان مضبوطا بشكل يومي على الساعة السادسة، كل أطرافي كانت مخدرة، جررت نفسي إلى الحمام حتى أغتسل، ربما بعض المياه الباردة ستعيد لي الحياة، "تبا.. يبدو أنّ المياه منقطعة مجددا. نظرت إلى تلك المرآة التي لا تكذب حدقت قليلا بها، لا أتذكر آخر مرة رأيت بها نفسي، بالكاد تعرفت عليها ظننت لوهلة أنّني أنظر إلى صورة جدي، التجاعيد تتلاعب بجبهتي عمري ثمان وعشرين غير أنني أبدو في الأربعينات على أقل تقدير. الشيب يتسابق على طرفي شعري، عيناي تبدوان كحبتي تين عفنتين، ثقيلتان جدا بالكاد أفتحهما.

تبا لكل هذا لقد نسيت نفسي تماما، كل هذا بسبب ذلك العمل اللعين؛ أذهب صباحا قبل استيقاظ الناس وأعود ليلا والناس نيام كأنّني ثور حقل، وفي النهاية يقابل كل هذا بالإجحاف. أربع شهادات مرمية في الخزانة لا تغني عني شيئا في ذلك المصنع. أنا الوحيد الذي يعمل هنا، عامل ينام أثناء الدوام، عامل يتغيب ويفبرك الحجج لغيابه، فتاة لا تعمل بتاتا لأنّها عشيقة ربّ العمل، وآخر الشهر نتحصل على نفس الراتب، أيّ عدل هذا!

ويا ليتني أستفيد من هذا الراتب الزهيد، لم أبتع ملابسا جديدة منذ سنتين. فواتير الماء، رغم أنه ينقطع عشرين ساعة في اليوم. فاتورة الكهرباء والمصابيح اللعينة تنفجر في وجهي كلّما أنرتها. الثلاجة هي الأخرى زادت الطين بلة وتعطلت هي الأخرى، مما اضطرني إلى إصلاحها. كما أن جسمي تَكَالَبَ عليَّ هو الآخر بعد أن أصبت بالحمى

وذهبت إلى الطبيب واشتريت كل تلك الأدوية. والذي سبقه أيضا اقتنيت مدفأة جديدة فالقديمة تعطّلت، وهذا الشهر مضى أسبوع والمرحاض يسرب وعليّ إصلاحه أيضا. أيّ حياة هذه؟!

أليس من المفترض أنّ من يجتهد ويكدّ في عمله ويخلص نيّته يكافئ ويقابل بالخير، وليس أصلاً لماذا أقول كل هذا، الحل بسيط سأترك هذا العمل وأبحث عن أخر. لا....لا هذا غير متاح هذه الوظيفة السادسة التي أعمل بها وأتركها. أتعلم ربما الخطأ ليس في العمل ولا الناس ولا القواعد الكونية!! ربما ببساطة أنا هو الخطأ. ولكن أنا لا أفعل أي شيء منحرفاً أو خارجا عن المبادئ.

أهذا هو المغزى من حياتي!! هل سأبقى الآن كالبهائم أعمل من أجل أن آكل وأنام وأعيش؟! ألن أتزوج وأكوّن أسرة وأقضي ما تبقى من حياتي مرتاحا في حضن امرأة تحبني وأولاد يحترمونني؟!! لقد جربت كل شيء بكل الطرق، درست اجتهدت عملت وبحثت، وماذا كانت النتيجة؟! أعيش منذ خمس سنوات في شقة كريهة الرائحة تحتوي على غرفة واحدة وعلى مطبخ بالكاد يكفي شخصين للوقوف فيه. ألن يتغير هذا حقا؟!

لا بد من حل لكلّ هذا، أتعلم ؟ أنا أعلم الآن لماذا يسأم بعض الأشخاص من الحياة، أنا أعلم لماذا ينتحرون. ولكن فعلا ماذا يلاقون من الانتحار؟! هل يحسون بالسعادة ربما؟! يتخلصون من كل مشاكلهم وآهاتهم، يحسون بالراحة التي لطالما بحثت عنها؟؟ لماذا ..لماذا لا أجرب الانتحار؟! أنت لا تعرف شيئا حتى تجربه، ولو كان الانتحار

سيئا حقا فلماذا يستمر الناس في الانتحار كل يوم؟!! ولكن كيف سأنتحر...هل أقطع شريان يدي كما تفعل الفتيات؟ أو ربما أضرم النار في جسدي النحيل!! لا لا هذا سيجعلني أتعذب قبل موتي، ربما أرمي بنفسي من جسر أو سطح عمارة؟! لا....هذا غير ممكن أيضا، سأعيش سقوطي لحظة بلحظة كشريط إعادة لحياتي، وأنا لا أوّد تكرار حياتي البائسة. أتعلم... لقد وجدت الحل.. حقا إنّه حل بسيط أنا.. ما هذا.. ؟! ما هذه الخشخشة التي على الباب؟!

ذهبت إلى الباب، فتحته وماذا أجد؟ إنّها تلك القطة التي ركلتها بالأمس تنظر إليّ نظرة استجداء، ترفع ذنبها وتموء بين قدمي، وما ذلك هناك..؟ قطتان صغيرتان تختبئان في الزاوية، إنهما سوداويتين، لابدّ أنّها صغارها. حقا!! هل عادت هذه القطة تستجديني من أجل صغارها رغم أنّي ضربتها ونهرتها بالأمس!! لقد تحملت همجيتي ووحشيتي من أجل صغارها ! صوت سيارة، لا بل صوت شاحنة تدخل الحيّ السكني، لابد أنّها شاحنة جمع القمامة، إنّهم الأشخاص الوحيدون الذين يعملون بجد وإخلاص في هذا العالم اللعين. تباً.. شاحنة القمامة!! هذا يعني أنّها السابعة، لقد تأخرت عن عملي. تباً لكل هذا.. وتباً لهذه الهرة اللعينة، عليّ الذهاب فوراً.. سأوبخ ككل يوم ويخصم ذلك الرجل البدين من راتبي مجدداً.

عُد كما كنت غريبًا .. ياسمين البطل محمد .. مصر

أيقظها شعاع شمس تسلل من نافذتها إلى عينيها يداعبها بسذاجة فوضعت يدها على عينيها لتتفاداه، اعتدلت في سريرها لتجلس مسندة رأسها على حافة السرير واحتضنت وسادتها بين ذراعيها وتنهدت تنهيدة حارة، تفحصت غرفتها بنظرة يشوبها الحنين، نظرت إلى المكتب الرابض في ركن من أركان الغرفة، تذكرت حينما كان يجلس هنا وأمامه كوب القهوة التي يدمنها، يرتدي نظارته ويتفحص أوراقه التي تحمل بين طياتها كلماته التي يخطها فيها كلؤلؤ منثور على الورق، تذكرت حينما كانت تتسلل على أطراف أصابعها من خلفه ببطء لتنقض عليه فجأة وهو غارق في محيط أفكاره، فتفزعه بفعلتها ثم تلف ذراعيها على عنقه وتهمس في أذنه: (أفزعتك مجددا) وتتعالى ضحكاتها فيجذبها من خلفه بعنف يكسوه اللطف ويقرص أذنيها كنوع من العقاب فتتصنع البكاء فيدثرها في أحضانه وكلاهما يعلم أنه يمزح مع الآخر.

أعادها من دوامة الماضي صوت جرس الباب فقامت وارتدت ثوبا يغطي جسدها وفتحت الباب لتقابل الفراغ أمامها، تعجبت وأخرجت رأسها من الباب ونظرت يمينا ويسارا فلم تجد أحدا، كادت تغلق بابها إلا أن تعثرت عيناها بظرف ورقي ملقا على الأرض، أخذته وأغلقت الباب، وتحررت من ثوبها الطويل الذي يشعرها بالاختناق،

جلست على الأريكة وما زال الجواب في يدها ولكن لم تفتحه، نظرت إليه وحدثت نفسها في صمت: ليتك كنت من قلمه، ليتك كنت منه، ليت كلماتك وأحرفك من صنع يديه، ليتك رسالتي التي أنتظرها منه، يا طفلي الضائع، يا حبيبي القاسِ، عسى روحك أن تحن لي، عساها أن تعود مشتاقة ، فآه منك وآه من هجرك، وآه من الطريق الموحش بيننا. أخرجت الورقة المدسوسة في المظروف وفتحتها، وترنحت عيناها بين الكلمات المخطوطة أمامها لتقرأ: "روايتي التي لم تنته بعد، وقصيدتي التي أعجز عن إلقائها، يا معزوفتي الهاربة ألحانها، يا من منك تشرق شمسي فأحيا بأنفاسك ولهيب عشقك ، وصالك حلمي ورؤياك منيتي..".

تصارعت بداخلها المشاعر، فَرِحَتْ بشدة لكلماته، وحزنت بعمق لكونه بعيدا، لا تدري من أين كتب، ولم يخبرها حتى بأنه سيعود، رغما عنها تبدلت مشاعر الحنين بداخلها إلى غضب، وحدثت نفسها بصوت مسموع يخرج من بين احتكاك أسنانها ببعضها: آه منك أيها الوغد، ما زلت تكابر وتتعجرف علي! أتريدني أن أزحف إليك وعيناي تمطر دمعا، أيها الأحمق أتتلذذ بعذابي هكذا!

ثم لاَنَ صوتها وتهدبت نبراتها معلنة ضعفها فارتمت بظهرها على الأريكة في وهن: آه من قلبي، رغم قسوتك أحبك، أخبرني أين أنت وسوف آتيك.

اختطفها النوم ساعات، فاستيقظت وقد هدأت ثورتها فاتجهت نحو المطبخ تجر قدميها الثقيلتين، أعدت قدحا من القهوة وجلست في الشرفة التي تطل على بحيرة ساحرة

ينعكس فيها ضوء القمر وتلمع فيها النجوم وكأنها سقطت من السماء في البحيرة، كانا قد اختارا هذا المكان عن عمد ليناسب خيالهما الواسع، كانت ليلة باردة، رياحها لطيفة تداعب خصلات شعرها الأسود الطويل فتتطاير في رقة، أخذت رشفة من قهوتها وتذكرته، كم كان يعشق القهوة ، كم كان يفضلها كثيرا في هذا الوقت من المساء وفي نفس الشرفة فكانت تمتزج رائحة القهوة بأنفاسهما معا، تذكرت ذاك اليوم السيء حيث رحل ولم يعد، مرت بذهنها الأحداث يومها والخلاف الشديد الذي نشب بينهما:

–أخبرتك قبل أن نتزوج أنني لا أريد أطفالا!

–يا حبيبي أشتاق لطفل من دمي، أطوق لسماع كلمة أمي.

–أنا لا أريد نقاشا، أخبرتك ما لدي وكفى.

–لما كل هذا التعقيد؟ ما يضرك بوجود طفل، طفل واحد فقط، أرجوك..

–لا أنا لا أريد طفلا ولا نصف طفل، ولك الاختيار إما أنا وحدي وإما أن تبحثين عن زوج غيري يهديك طفلا.

–أجننت!

– ماذا تقول وكيف لك أن تنطق بكلمات كتلك !!

– أنا لا أريد سواك ، ولكن غريزة الأمومة بداخلي تحرقني.

–حبيبتي، ألم تخبريني من قبل أنني طفلك !

–هل كبرت بعينيك فأصبحت تريدين طفلا غيري؟

–أخرجي تلك الأفكار من رأسك واكتفي بطفلك المدلل هنا.

–أنت دائما ما تستهين بمشاعري!

–أتظنني حمقاء لأقتنع بهذا الهراء وأصمت؟؟

قطب جبينه واصطكت أسنانه وتطاير الشرر من عينيه، فضغط على كفه بأصابعه كي يكتم غضبه الذي اشتعل كبركان ثائر، ولكن الغضب كان أقوى من سيطرته؛ فرمى بيده كأسا زجاجيا كانت على المنضدة أمامه فتهشم الكأس محدثا صوتا مزعجا، جعلها تتوتر وتضع يدها على أذنيها. نظرت إليه في صمت وملامحها مليئة بالخوف والحزن معا والدهشة أيضا من ردة فعله غير المعتادة، وسمعته يصيح غاضبا تاركا الغرفة متجها إلى الخارج ناحية الباب:

–طفح الكيل منك، قلت لك أنا لا أريد أطفالا وهذا آخر ما لدي، وسأعيش هكذا طيلة حياتي، أما أنت فلك ما شئت من الأطفال فلتنعمي بهم وحدك.

قال كلماته التي خرجت من فمه كرصاصات اخترقت سمعها وتقطعت لها أوصالها؛ فانهارت بجسدها على الأرض تذرف أنهارا من العبرات الملتهبة، استوطنها الحزن للهجته القاسية تلك.

خرج فانتظرت عودته، تأخر، فانتظرت ولكنه لم يعد، نعم لم يعد حتى الآن، لا تدري أين رحل، لا تعلم حتى إن كان يريد الفرار منها فجعل تلك حجته وهرب، ولكن رسالته

هذه تقول غير ذلك، ومن دون رسالته تلك حتى، كل شيء يقول غير ذلك، إنه العاشق المتيم بها!

حارب من أجلها أعواما كاملة، وقضى معها سنوات طوال، لم يحدث بينهما شجار وامتد لصباح اليوم التالي، كل الخلافات كانت تحل في وقتها، ما بينهما كان أكبر من كلمة حب، كانا روحا واحدة، أنفاسا واحدة، أفكارا وتخيلات وأحلام وانتصارات واحدة، ولكن كيف؟

كيف هانت عليه كل هذا الوقت؟ كيف تحمل غيابها وهو الذي لم يكن ليغمض جفونه إلا بين أحضانها!!

كان يراسلها كل مرة من جوال مختلف فلا تستطيع الرد عليه، ثم تباعدت الفترات بين كل مراسلة، فقط كان يرسل لها كلمات تحثها على الانتباه لنفسها، كانت تلك الرسالة التي أرسلها مع ساع البريد اليوم الأولى التي يكتب فيها كلمات عشق كهذه منذ أن رحل.

مرت الأيام فالشهور، ولم يعد، ولم يراسلها حتى كعادته، أكلها القلق والخوف والاشتياق ، حتى وصلتها رسالة أخرى وكانت الأخيرة، كتب لها: "تركتك ليس لأني لم أعد أريدك، ولا لأني توقفت عن حبك، وإنما تركتك لتحصلي على ما تريدين، لأنني عاجز عن تلبية طلبك، أنا لا أنجب، وليس لا أريد أن أنجب، أنا مثلك تماما، غريزة الأبوة تفتك بي، أشتاق لطفل مني ومنك، ولكني لا أستطيع، لم أَقْوَ على إخبارك بذلك، فأجبرك على

العيش معي كي لا تجرحيني فتعيشين بحرمانك وآلامك في سبيل راحتي، ولكن أخبرتك بأني لا أريد، رحلت لأترك لك فرصتك، تزوجي واحصلي على الكثير من الأطفال، وأنا سأظل أحبك إلى الأبد، إلى آخر شمس تشرق في عمري، ستظلين أنت طفلتي، وحبيبتي، ومن سكنت وحدها سويداء قلبي، ستظلين وحدك من ينبض لها فؤادي ويرق لفراقها دمعي، أعتذر لك عن الألم الذي سببته لك برحيلي، ولكني أقسم لك أنني لم أرحل إلا من أجلك ومن أجل سعادتك، دمتي بخير دائما أبدا، أحبك..".

صرخت، انهمرت دمعاتها كشلال ثائر، تعالى صوت بكائها وتمتماتها: أيها المجنون الأحمق، أتظنني سأسعد هكذا!

إن كنت أريد طفلا فلا أريده إلا منك، وإن كنت عاجزا عنه فلا أريده أبدا، لا أريد سواك يا أحمق، عد عد أو أخبرني بمكانك وسأقطع إليك أميالا حتى أصلك، أجننت!! كيف؟ كيف لي أن أتزوج غيرك ، كيف لي أن أرى سواك ، يا أحمق ، أجبني !.

انهارت وانهار كل ما بداخلها، تيقنت أنها النهاية، فهي تعرفه جيدا وتعرف صلادة رأسه، تعرف أنه سيفعل ما قال، سيرحل للأبد.

مرت الأعوام ولم تستقبل منه أي رسالة، لا تخرج من منزلها سوى لشراء ما تحتاج، تحيا على ذكراه، تفعل كل ما كانا يفعلاه سويا وكأنه موجود معها، تكتب له وكأنه يقرأ، تقرأ كتاباته التي كان يكتبها لها؛ فتشعر أنها تراها لأول مرة، تبكيه، تناديه، تعانقه فقط

في الحلم، تدعو له دوما، لا يقل حنينها بمرور الأعوام بل يشتعل، يتزايد، يحرق الشوق وجدانها، كعلة لا دواء لها.

واليوم تقف في شرفتها تؤرخ في مذكراتها كلمات بمناسبة مرور عشرين عاما بدونه.

لم يكن لها سواه في دنياها، وهو كذلك، بعد أن خاضا حروبا ضارية من أجل أن يكونا سويا، تذكرت يوم زفافهما عندما انسلا من بين الجموع المنشغلة بالرقص والغناء وهربا من الزفاف كعاشقين مراهقين فارين إلى عالم آخر، حيث كانت أحلامهم التي رسموها فصعدا على متن سفينة كانت لهم وحدهم، أبحرت بهم من أول الليل حتى لمعت أولى خطوط النهار معلنة بزوغ الشمس من خدرها، فلم يكن أمام ناظريهما سوى ماء النهر المصبوغ بحمرة الشفق، والطيور التي تتمايل في السماء كأنها تتراقص في شجن، انفصلا عن العالم من حولهما، لا يوجد بشر ولا سيارات ولا أصوات سوى صوت أنفاسهما.

تململت في جلستها في محاولة لمنع دمعاتها من التساقط، يكفي قلبها الذي يبكي ويئن كلما مرت عليه ذكراه، آه منك يا بعيدا عن عيني مستوطنا روحي.

مرت الأعوام وهي كما هي، لا تفعل شيئا سوى الانتظار، تنتظر ولا ينطفئ الأمل في روحها يوما، تحيا على الذكرى وكأنها فلم تشاهده في مخيلتها كل يوم دون ملل أو كلل، شابت ملامحها وظهرت انحناءات وجهها، وزحف الشيب على شعرها كنسيج العنكبوت فخبأ شبابه وكساه البياض، أصبحت عجوزا! نعم أهلكها الزمان فتهالكت، ربما أهلكها الحزن مبكرا قبل أوانها.

قامت في حركة بطيئة وارتدت ملابس الخروج والتقطت عكازها في يدها وسارت في الطرقات في آخر الليل، كانت تقصد وجهة بعينها، وصلت لمرادها، مكان صغير على حافة النهر يقدم مشروبات ساخنة مع بعض العزف على الكمان والأضواء الهادئة، إنه أول مكان عهدته قدميهما منذ أول لقاء بينهما، قضيا فيه معظم أوقاتهما.

خطت بضع خطوات وجلست في مقعد منزوٍ بعيدا عن الأنظار وطلبت قهوتها المعتادة، وسرحت بكل في النهر أمامها تراقب القمر المنعكس فيه، شعرت بشخص ما يجلس بجوارها وسمعته يطلب قهوة أيضا، ما أن سمعته استدارت لتراه، نعم كان هو، حبيبها الغائب، لم يصدر عنها أي رد فعل، لم تندهش، لم تبتسم حتى، وكأن شيئا ما قد انطفأ بداخلها، إنه انطفاء الشغف، لاحظ هو أن التي بجانبه تحملق فيه فنظر ليتسع فاهه، كالذي دبت فيه الحياة دبيبا، شاب هو الآخر وتجعدت ملامحه، كاد يحتضنها وانهمرت الدموع من عينيه، إلا أنها ابتعدت:

-أنتِ ! إنك هنا !

-نعم أنا، أنا التي انتظرتك عمري كاملا ولم تعد!

-ألم تتزوجين؟

-أخبرتك أني لن أفعلها.

-كيف؟ ما عرفته أنك تزوجتِ!

-لأنجب أطفالا صحيح؟

ألم أخبرك بأنك طفلي! وأنني لا أريد إن لم يكن طفلي هو طفلك، لم تصدقني وتركتني ورحلت.

–رحلت من أجلك، من أجل سعادتك، رحلت وروحي لم ترحل معي، بقيت معك، أنا لم أتزوج حتى اليوم، ما رأيت سواك.

–وما الفائدة؟ أنت رحلت دون مبرر، تركتني وحدي، عمرا كاملا أنتظرك، أين السعادة في ذلك؟ أين تلك السعادة التي تتحدث عنها!!

لم تترك لي سوى الألم!

– حبيبتي، أقسم لك أنني ما رحلت إلا لأفسح لك الطريق لحياة فيها سعادتك، أردت أن يكون لك طفل كما تمنيتي، ولكن دعينا ننسى ما مضى، ها نحن الآن سويا، ها أنا قد عدت ..

– ننسى!! يا ليتني أنس يوما واحدا، صحيح أنك عدت، ولكن عد كما كنت غريبا!!

مجرد شبه .. سهام النجمي .. المغرب

في منزل صغير تعيش عائلة بسيطة مكونة من خمسة أفراد تجمعهم صلة الدم والإحساس بخيبة الأمل من قدر فرض عليهم، لا يملكون تغييره ولا قبوله، الأب كانت له أحلام عظيمة أجهضها واقع محبط حبسه في وظيفة أجبرته على التعاطي مع أشخاص لا يطيقهم، مقابل مرتب شحيح يلتهمه مصروف زوجة و أولاد يعيشون على كاهله، أسرته كانت استثمارا خاسرا فلا أحد من أولاده يلوح منه أمل بمستقبل يعوضه عما تكبده لأجلهم، وزوجته دائمة الشكوى والتنهد، تدبر مصاريف المنزل حتى آخر الشهر هو أقصى قدراتها. الأم هي الأخرى تنعل حظها كل يوم، حظ اختارته مجبرة حين تزوجت لتهرب من جحيم أسرتها التي بدورها امتلأت بخيبة الأمل و اليأس من قدر تعيس فرض عليها الفقر و الجهل و كثرة الأولاد، خليط أفرز مرارة و بؤسا، جعلاَ حلمَ كل من في البيت هو الخروج منه ولو إلى وجهة أسوأ.

تزوجت رجلا رأى فيها مجرد خادمة مجانية، ليس مضطرا ليدفع لها وليس لها حق الشكوى أو حتى الاستقالة، حتى حين أنجبت واختبرت أجمل شعور بالحياة، سرعان ما اغتالته دوامة المسؤولية التي باغتتها وحاصرتها ليل نهار، فحتى حين يحل الليل و يخمد الأولاد ووالدهم وترتاح من هم الطبخ والتنظيف وضجيج الطلبات و المشاجرات، تباغتها هموم مصروف البيت لتطرد النوم من عينها. الابن مروان كان الاكثر سخطا و

كرها لواقعه، كان يشعر إنه سمكة خارج الماء ، لم يكن هذا زمنه ولا أرضه و لا هذه العائلة تعني له شيئا، فكان هوس الهجرة إلى الخارج دون رجعة، مسألة حياة أو موت له، طوق النجاة الوحيد من حياة يمقتها أكثر مما يمقت سجين سجنه.

الابنة الكبرى ليلى كانت تكره شكلها، كلما تأملت نفسها في المرآة، بعينيها الصغيرتين وانفها الأعوج وشعرها الأكرد وبشرتها المكتظة بالنمش والنقط السوداء، وأسنانها المنفرة، كلما زاد حقدها على الجسم الذي زرعت فيه روحه، جسم يقف حاجزا وعقبة أمام أي فرصة زواج تنتشلها من مستنقع التعاسة التي تقبع فيه. كانت تدرك أنها بضاعة ذات جودة متواضعة لن تجذب إلا زبونا معدما يزرعها في مستنقع جديد.

تميمة الابنة الوسطى كانت فتاة هادئة لحد الجمود، قليلة الكلام، خجولة ، تتجنب المشاكل والاشتباكات مع أخيها وأختها ووالديها وغالبا ما تتنازل عن حقها درءا لأي مشكل أو شجار . مما جعلها ابنة بارة ومثالية ونعم الأخت بالنسبة لعائلتها دائمة الاستعداد للتضحية و التفاني .

لم تكن مغرمة بالعلم أوفالحة في دراستها، ربما بسبب خجلها المبالغ فيه وحياءها النادر، كانت تخجل المشاركة داخل القسم، وتخشى الأحراج، كما كانت تستحي من نظرات الآخرين وتحمر وجنتاها ارتباكا عند محادثتها لأي كان، لهذا كانت منعزلة، قليلة الأصدقاء و سرعان ما هجرت مقاعد المدرسة لتلتحق بمقاعد البيت، الشيء الذي

أسعد والدتها؛ لكونها ستحظى بمساعدة في تدبير أمور المنزل وهو ما أتقنته تميمة واحترفته حتى فاقت والدتها مهارة، وصارت مدبرة المنزل الرسمية، الأم الراعية والحنونة التي تتحمل بإيثار وسماحة عجرفة أخيها تذمر وكسل أختها و لامبالاتها و سوء مزاج والديها واتكالهما عليها.

كان أقرب فرد إليها هو التلفاز، عالمها وبيتها الحقيقي، الصديق الحميم، هوايتها ومأواها، المنفى الذي تهرب إليه من كل منفرات الحياة فكان هدوءها وصمتها الخارجي غطاء يخفي زحاما من الحكايات والقصص وعالما من الوجوه والشخصيات، بحرا من المغامرات والتجارب والأحداث، دنيا كلها سحر وخيال بوابتها تلك العلبة الصغيرة لدرجة أنها ارتبطت به أكثر من العالم الذي تنتمي إليه.

منذ صغرها كانت تشاهد أفلام الأطفال فتتأثر بها وتعايش شخصياتها حتى تنصهر مع كل حكاية، فتفرح لفرح أبطالها وتحزن لحزنهم، و قد تبكي لمعاناتهم، حين ينطفئ ذلك الجهاز تظل تميمة تحلم.

كانت تشعر أن شخصيات التلفاز أقرب إليها من أقرب الناس، كما لو كانوا أشخاصا من لحم و دم، و ليس مجرد خيالات .

كان عالم التلفاز يعطيها إحساس الحياة، فمنه تعلمت معنى الحب و الخيان والصداقة و التحدي الخير و الشر..

من خلال هذا الجهاز شعرت أنها تعيش، تتعلم تنضج تكتشف.. حتى أضحت وكأنها عاشت ألف قصة و تجربة و اختبرت كل معاني الحياة و ظروفها، وهكذا مر بها الزمن دون أن تشعر .

ذات يوم كانت الأم طريحة الفراش جراء نزلة برد ألمت بها فراحت تميمة لابتياع أغراض البيت من السوق.

شيء لم يكن من اختصاصاتها فهي قليلة الخروج، نادرا ما تختلط بالناس، فالعالم الخارجي كان بالنسبة لها غير مألوف، غير مطمئن يوحي بعدم الأمان.

وهي في طريق العودة كانت أشبه بحمل ضعيف يمشي بين قطيع من الذئاب المتربصة به و المترصدة لأي فريسة يسيل لعابهم لها، منهم من يتفحص جسدها كما يصور جهاز طبي جسم مريض، ومنهم من يمطرها بعبارات الغزل التي تلقتها كطعنات تخترق روحها، وآخر غلبته غريزته العمياء لما هو أبعد، صار يتبعها عن كثب ملقيا على مسامعها أحط الألفاظ حتى ملت و ضجرت من تحمل إساءاته فقررت أن تخرج عن سكوتها المهزوم وقلة حيلتها، استدارت نحوه ونظرت إليه باشمئزاز صارخة :

–ابتعد عني يا حيوان..

ثم استدارت مكملة طريقها وكل جسمها يرتجف و ينتفض ذعرا، يملاها شعور قاس بالوحدة والضعف، غير مصدقة لما فعلته وكأنها حمل صغير يتحدى أسدا هائجا، اسرعت خطواتها باتجاه البيت تاركة خلفها متحرشها يشتم ويلعنها بأقذر النعوت.

عادت إلى البيت وهي ترتجف.

لم تتجرأ تميمة على مصارحة أحد بما جرى لها فقد كانت في حالة هستيريا إضافة إلى أنها تعرف مسبقا ردة فعل أمها التي سرعان ما ستلومها وتوبخها على عدم تجاهل الذئب البشري، مما سيزيد من إحساسها بالضيق، لذا فضلت الانزواء وفلم تكن حالتها تتحمل مزيدا من اللوم والعتاب .

مرت أيام وسرعان ما نسيت ما حصل أو تناسته واستعادت توازنها و بدأ مارد الخوف يغادر جسدها وينسلت شيئا فشيئا كما تهدأ العاصفة ويستعيد الجو هدوءه، ففكرت بعقلانية وأعادت تقييم الموقف بهدوء وروية واستخلصت عبرة بعدم تكرار الموقف و ألا تخرج من البيت لوحدها إلا لأشد الحاجة وعند خروجها عليها تجاهل أي كلام تسمعه، كان عليها تجميد إحساسها وتخدير كرامتها بحيث لا تتأثر أو تنفعل عند سماع كلام مهما كان بذيئا ومستفزا، لم تكن هذه الخلاصة نتيجة منطق وإنما كان الحل الأوحد، حل يتبناه الضعيف أمام القوي ليستطيع العيش.

مر حوالي الأسبوعين وعادت الحياة إلى طبيعتها إلى أن جاء صباح يوم جديد طلبت منها والدتها الخروج لابتياع غرض ضروري ومستعجل فتحججت تميمة بتعبها للتهرب من ذلك، فقد صار الخروج إلى الشارع بالنسبة لها كابوسا يرعبها. أمام إلحاح الأم لم تجد تميمة بدا من الانصياع لطلبها، فهمت بالخروج وهي تدعو في خاطرها أن تسلم وتعود إلى بيتها دون خسائر، ارتدت جلبابا فضفاضا وغطت رأسها رغم حرارة الجو.

مرت ساعات ولم تعد تميمة مما أقلق الأم وسبب لها الضيق، فراحت تتضرع إلى الله أن يقيها شر المجهول.

حل الظلام و عاد الأب و الأبناء ولم تعد تميمة فخرج الأب و الإبن يبحثان عنها حتى دق الباب وفتحت الأم المنهارة لتجد تميمة وهي ترتجف ثيابها ممزقة وشعرها منكوش ووجهها يوشي بفاجعة، لقد تعرضت للاغتصاب.

مر يومان والمنزل كله في حالة هلع، لجمت ألسنتهم وخطفت لون وجوههم، أما تميمة فبالكاد استعادت إدراكها وأفاقت من حالة الغيبوبة التي غرقت فيها فلم تكن تدرك أين أو من هي، كانت مسلوبة الوعي.

عند استعادتها لوعيها استطاعت الأم استفهام ما حصل و معرفة تفاصيل ما حل بصغيرتها، ولو أن التفاصيل لن تخفف عنها هذه الكارثة التي حلت بها .

نطقت تميمة و أخبرت أمهاّ أنها في طريقها للسوق فاجأها شابان وكتما أنفاسها وجراها للخلاء، حيث جرداها من ختمها الرباني، ثم تركاها كما يترك المفترس عظم فريسته، بعد أن يفتك ويلتهم لحمها، كما أن واحدا من المعتدين كان الشاب الذي تحرش بها من قبل .

معلومة وجدت الأم فيها ضالتها، لتنهال على ابنتها باللوم والتوبيخ، ليأتي دور الأب الذي فرغ في الأم جام غضبه فوبخها لأنها سمحت للفتاة بالخروج، ولم تعلم بما يجري معها و أن الفتيات الجيدة تربيتهم، لا يقمن بما قامت به تميمة و المُلاَمَةُ أمها.

مرت حصة التفريغ وأتت مرحلة التفكير في حل المصيبة التي حلت لعنتها على هذا البيت.

كارثة جعلت الأب في خاطره يكره اليوم الذي تزوج فيه و أنجب أولادا، لحظة ندم فيها على كل حياته بحلوها ومرها، لا بل لعن يوم ميلاده وراح يلعن حظه، و كيف أن الحياة استقصدته من دون الناس بهذه الفاجعة.

أما الأم فلاحت أمامها نظرات الجارات والقريبات المليئة بالشماتة، وكيف أن كل النساء اللواتي يكرهنها سيجدن فرصة فريدة للتشفي فيها كالجائع أمام وجبة دسمة، و بعدما كانت تجلس مع نادي ربات البيوت للثرثرة والنميمة عن مشاكل الناس و فضائحهم، ستصير موضوع الساعة.

اجتمع الوالدان فتناقشا وتشاورا وقررا تبليغ الشرطة، لاسيما وأن الفتاة تعرف ملامح المعتدي، ليس رغبة في إحقاق الحق وإنما لقلة الحيلة و اضطرارا، فلم يكن من حل آخر نظرا لان الأمر سينكشف عاجلا أم أجلا، وعدم التبليغ قد يسيء إلى سمعة تميمة وبالتبعية لعائلتها، ويوحي أنها فتاة منحرفة وليست ضحية ويعطي مجالا لانتقاد سلوكها، كما وأنها فقدت رمز عفتها مما يجعل زواجها أشبه بالمستحيل، وهذا يفتح الباب للأقاويل والتأويلات التي تسيء لها ولهم فالأفضل أن تعرف على أنها ضحية فهذا يجر تعاطف الناس، وربما شماتتهم ولكن ذلك أهون من لعنتهم واحتقارهم، أو هكذا ظن

الوالدان واقنعا نفسيهما على أن قضاء أخف وأقل ضررا من قضاء وهذا الحل سينقد ما يمكن إنقاده:

تم إبلاغ الشرطة وبعد تحقيقات و أبحاث تم توقيف المعتدي و شريكه الذي اعترف بفعلته معللا بان ضحيته اهانته و نعتته بالحيوان دون سبب او مبرر مما استفز رجولته فقرر الانتقام منها .

أجريت التحقيقات وشاع الخبر ونشطت ألسنة الناس فراحوا يحللون ويؤلفون ويصدرون الأحكام وكأنه مؤتمر دولي لمناقشة موضوع مصيري حيت كل يدلي بدلوه.

منهم من أشفق ورأف ومنهم من أبدى التعاطف و التأثر ستارا ليخفي غبطة وسعادة تخفف عنه الإحباط واليأس. ومنهم من وجد فرصة لكسر حدة الرتابة وروتين الحياة فجاء هذا الأمر، كعلكة مسكرة تعينهم على استهلاك الوقت وتشغيل أفواههم .

عرض المعتدي أن يتزوج ضحيته للتكفير عن غلطته و تعويضها، عرض وجد قبولا عند العائلة التي وجدت فيه حفظا لماء الوجه، فتميمة باتت مشكلة ولعنة فمن المستحيل أن تجد من يتزوجها فتصير وصمة عار على لعائلة وحملا ثقيلا يجثم على صدرها ماديا و معنويا، وزواجها هو حل يمحي العار ويضمم الجروح ويعيد للعائلة شرفها ويسكت ألسنة الناس، أما تميمة فهذا قدرها وعليها تقبله وقد يكون لها فيه خير .

تركت العائلة الخيار لتميمة لتختار مصيرها وتحدد ما تريده كنوع من الاحترام لحقها في تقرير مصيرها.

مبادرة الأهل كانت شكلية فقط وليس عن اقتناع. معرفتهم بتميمة جعلتهم متأكدين من موافقتها لأنها لطالما ضحت وتغاضت عن حقها من أجل الآخرين، وهي على استعداد دائم للتفريط في مصلحتها الخاصة من أجل المصلحة العامة ولعدم إثارة المشاكل، فبمجرد ما تقول لها أمها "الله يرضي عليك" كانت هذه الجملة كالسحر، كلمة السر للتحكم فيها و إقناعها بأي شيء، وكم مرة تنازلت لأختها على أي شيء تريده من ملابس وحلي وألعاب مهما كانت عزيزة عليها لعدم التسبب في أي مشكل، وكم مرة انصاعت لأنانية أخيها وتسلطه و استسلمت أمام صوته العالي و ورضخت لرغباته مهما كانت ظالمة دون عتاب أو تذمر، لعدم إثارة وتكبير الخلاف مقنعة نفسها بأنها أكثر عقلانية وحكمة فكان صمتها نبلا، وأما أفراد الأسرة فرأوا في ذلك فرصة لاستضعافها

.

كل هذا جعل العائلة تطمئن وتتأكد من قرار تميمة وتضحيتها بنفسها، فكان موقفهم النبيل ظاهريا في باطنه رغبة في حل المشكلة دون الشعور بالذنب أو تحمل وزر هذه الخطوة.

فكرت تميمة طويلا وشعرت أنها كبرت عشر سنوات وأن الحياة أجبرتها فجأة على اختيار طريق من اثنين؛ أحلاهما مر، مباغتة إياها فانتقلت من عالم كله براءة ونقاء إلى جحيم. لقد تعرضت للاغتصاب وهي الآن مجبرة على اتخاذ قرار مصيري سيؤثر عليها وعلى أهلها، قرار نهائي لا رجعة فيه. ومع كل ما كانت تعانيه من خيبة أمل كان هناك

شيء إيجابي شعرت به لقد أدركت أن لها كيانا وهوية، كانت الصدمة برغم قسوتها بمثابة جرس أفاق روحها من سباتها العميق ، وآلمها كصراخ المولود الذي يخرج للحياة لأول مرة، أحست تميمة بوجودها، أنها كائن له رغبات وحقوق ولم تخلق فقط لتفكر في الآخرين وتسهل حياتهم وتتحمل أعبائهم. كان هذا الحادث كالسكين الذي مزق الشرنقة التي حبست نفسها فيها لتخرج للحياة وتتشكل شخصيتها. ولو لمرة واحدة شعرت أن عليها أن تختار بحرية ولم لا بأنانية، عليها أن تفكر بتميمة وليس بالآخرين. كان زواجها بالمعتدي الذي سلبها إنسانيتها أسوأ من الانتحار، أن تعيش حياتها وهي ترى من سلبها الحياة كل لحظة يذكرها بجريمته ويوقظ إحساس الذل فيها، كيف يمكن للوحش المفترس أن يحسن لضحيته بعدما افترسها، كيف يمكن لأسد أن يحب ويحنو على حمل بعدما فتك به، كيف يمكن أن تحيا الفريسة و المفترس سوية.

كانت مدركة أن رغبة المعتدي بالزواج منها ماهي إلا حيلة ينفذ بها من مخالب العدالة و يفلت من العقاب.

مر وقت التفكير وحان وقت القرار ذهبت تميمة مع والديها لمركز الشرطة لإبلاغ المفتش قرارها، لم يكن للوالدين أدنى شك أنها ستختار التضحية بنفسها حتى أنهما لم يسألاها كتكملة لفكرة احترام خصوصيتها وحقها في تحديد مصيرها. أما تميمة فكانت صامتة ساكنة لا يوحي وجهها بأي شيء، دخلت الفتاة مع والديها وطلب الشرطي سماع قرار الفتاة دون ضغوط أو تحريض فدفع الأب بابنته للأمام.

طرح الشرطي السؤال على تميمة:

–هل تقبلين عرض المعتدي بالزواج منك تكفيرا عن جريمته؟

ساد صمت قاتم، أخذت تميمة نفسا عميقا تم نطقت بصوت خافت:

–ل.ا

لم يصدق الوالدان ما سمعاه فطلبا منها إعادة الجواب بصوت أعلى، فكررت قولها بثقة وعزم أكبر بنبرة كلها تحدي:

– لا اقبل!

فعاد المفتش ليسأل:

–هل أنت متأكدة؟ هل تحتاجين لمزيد من الوقت للتفكير؟

بعزم مضاعف وإصرار ردت تميمة:

–لا قراري نهائي، لا أقبل..

اتجه نظر الوالدين إلى ابنتهما في صدمة ودهشة ثم نظرا لبعضهما غير مصدقين، وكأنها شخص غريب عنهما وليست فلذة كبدهما المستكينة والخانعة، تلك النظرة الحادة والواثقة، ذلك التعبير الذي تملاه الجرأة والثبات، حتى نبرتها مليئة بالتحدي والقوة، كل ذلك يوشي بإصرار وعناد لن يجدي معه كلام أو محاولة إقناع.

عادت الأسرة للمنزل وحوكم المعتدي وأغلق ملف القضية وعادت الحياة إلى طبيعتها، شيئا فشيئا خفت همسات الناس الذين سرعان ما وجدو قصة جديدة ومثيرة للثرثرة.

ولكن الحال كان غير ذلك، داخل منزل العائلة فما أصابهم كان أكبر وأعمق من حادث عابر أو مشكلة مؤقتة، لا بل انتهاء الأزمة هو بدايتها كما يدمر زلزال مكانا، فتبدأ معاناة ساكنيه بعد انتهائه مع مخلفات الدمار، فنتائج المشكل أشد إيلاما وقسوة من المشكلة نفسها، والناس وإن ملت الحديث والخوض في ما حدث للعائلة لن تنسى أبدا فالجرح سيترك ندبا أزليا .

كان البيت كئيبا وقاتما يسوده الصمت الذي لا يكسره سوى صوت التلفاز، جو من الضيق والاختناق يخيم على الدار.

الأب يقضي معظم وقته خارج البيت في قهوة البعيدة، لا يعود للبيت إلا في وقت متأخر، يعود عبوسا صامتا .

أما الأخ فلم يعد يخرج كثيرا كعادته بل صار حبيس حجرته معظم الوقت يضيع وقته أمام حاسوبه خصوصا بعدما تشاجر واشتبك مع أحد الجيران الذي راح يلسن ويسيء الكلام عنه وأخته، فما كان منه إلا أن هجم عليه، ومنذ ذلك اليوم صار يتقوقع داخل حجرته مكروبا و متبرّما لا تفارقه نظرة غم و نفور من كل شيء،

الأم لا تكف عن التنهد و التأوه وكأنه تنفيس عن وجع عميق ودفين يستوطن بدنها كدخان يخرج من بركان يغلي، كما أنها صارت دائمة الشكوى من صحتها، تجد صعوبة في الحركة والقيام بواجباتها ونشاطاتها المعتادة، ولا تتوقف عن التضرع والشكوى إلى الله لتخليصها من أوجاعها و تخفيف حملها .

الاخت كذلك كانت منعزلة طوال الوقت مستاءة وسريعة الغضب لعدة مرات عادت من جامعتها باكية ومنهارة من تعليقات زميلاتها في المدرسة و استهزائهن بها و معايرتها بأختها الى ان فاض بها الكيل فامتنعت عن الذهاب للجامعة .

صار المنزل كبيت للأشباح يسوده سكون يثير الخوف و الوحشة.

تميمة من جهتها تحلت بالشجاعة و الصبر و كانت تدرك ان الزمان سيداوي الألم ويضمد الجروح و يعيد البسمة للوجوه فراحت تحاول جاهدة احتواء حنق وضيق أفراد عائلتها، فتتودد لإخوتها وترعى شؤون والديها، تحضر ألذ الأطباق وتلبي الطلبات قبل طلبها، محاولة كسب ودهم وترضيتهم، كانت تلعب دور المداوي وهي الضحية الأشد حاجة للمواساة والمداواة، كل ذلك على أمل ان تنزاح الغمة و تعبر الأسرة هذه العقبة مؤمنة أن رباط العائلة أقوى و أعمق من أي محنة.

مرت أيام وأسابيع وضل الحال على حاله، ولم تظهر أي بشائر أو اشارات لانزياح غيمة الكآبة التي تحط على منزل تميمة، التي لم تفقد الأمل أو تكل من تحمل نظرات الأخ النافرة وتنهدات الأم وتجاهل الأب و نفوره منها و كأنها مرض خطير .

كل هذا جعل المنزل الذي كانت تحتمي به تميمة من وحشية العالم وترى فيه مخبئا تأمن فيه شر الآخرين؛ صار فجأة مصدر معاناة بعدما كان مصدر أمان، وبرغم ذلك صبر تميمة لم ينفذ وأملها في تخطي المحنة لم يخف إلى أن جاء يوم استيقظت تميمة من النوم في ساعة متأخرة و اتجهت نحو المطبخ لشرب الماء وهي تقترب من حجرة

المطبخ لمحت نور الغرفة مضاء و سمعت أصواتا تصدر منه كانت أمها وأختها تتحدثان.

كانت الأم تشكو لابنتها أن شابا أراد خطبتها ولكنه تراجع عن ذلك وعائلته بعدما كانت تتودد وتتقرب إليها رغبة في مصاهرتها، انقطعت عن الاتصال وصارت تتعامل معها باستعلاء عندها علقت الأخت بامتعاض :

– كل هذا بسبب تميمة، لقد شوهت سمعتها وسمعتنا معها، كنت أخشى ألا أجد عريسا مناسبا و الآن حتى العريس السيء لن يأتي.

فردت الأم:

–لو أنهم قتلوها لكنت بكيت و نسيت أما الآن سأعيش في هذه المعاناة طوال حياتي.

استمعت تميمة ثم عادت لغرفتها دون إثارة انتباه أمها وأختها وهي في حالة صدمة وذهول.

في اليوم التالي استيقظت الأم على جو من السكوت لم تعتده فغالبا ما تنهض لتجد تميمة في المطبخ تعد الفطور وتوظب المنزل قبل قيام الآخرين، فراحت لغرفتها لإيقاظها من النوم ولكن عند دخولها لم تجد سوى سرير فارغ، لم تكن تميمة موجودة في الغرفة و لا في المنزل كله لم تجد الأم سوى ورقة موضوعة على السرير مكتوب عليها:

"لا تبحثوا عني"

بعد مرور حوالي عشر سنوات، ذات يوم كانت ليلى مع أمها وطفليها تتسوقان في مركز تجاري كبير تم افتتاحه حديثا وكان يعج بالناس وهما منشغلتان بحمل ما ابتاعتاه من أغراض و أكياس وبشقاوة الطفلين وقع نظر الأم على أمر جمدها في مكانها و ركز نظرها نحو امرأة تقف على بعد أمتار منها:

كانت امرأة انيقة ترتدي معطفا غاليا و كعبا عاليا و ملابس فاخرة، لم تكن إلا تميمة، عرفتها الأم رغم المسافة بينهما ورغم مرور السنين رغم تغير هيأتها و ملابسها ولكن قلب الأم لا يخطئ ولا ينخدع، خفق وانتفض لمجرد نظرة، كانت تميمة، نظراتها و تقاسيمها.

دون تفكير ركدت الأم بلهفة واندفاع نحو أبنتها غير مصدقة بعدما افلتت من يدها أكياس المشتريات ويد حفيدها، ودون مقدمات انقضت على المرأة و حضنتها بعنف وحرقة وراحت تقبلها وعيونها تنهمر منها الدموع وجسدها يرتجف من وهل المفاجأة التي رتبها القدر .

وبانفعال شديد وصوتها يرتعش قالت:

–تميمة ابنتي لا أصدق أن الله استجاب لدعائي و جعلني أراك مرة أخرى.

لحظة فاصلة رتبها القدر، بركان من المشاعر المكتومة انفجر بعد دهر من الخمول، انهمرت دموع ليلى وارتجفت كل شعرة في بدنها، مما جعل طفليها في حالة دهشة وعدم استيعاب فلم يسبق أن شاهدا أمهما وجدتهما في حالة مشابهة.

أمام الأم التي زلزلت الحياة كيانها على حين غرة ، رفعت المرأة يدي الأم عنها بكل برود و هدوء و نظرت إليها بتجهم و جمود :

–المعذرة سيدتي أنا لست تميمة يبدو أن هناك خطأ و الأمر مجرد شبه.

تم أدارت ظهرها مبتعدة وهي تحاول جاهدة أن تتماسك ولا تفقد السيطرة وأن تحبس دموعا غلبتها، تاركة الأم و الأخت حائرتين و مصدومتين لا تعلمان ما تفكران به: هل هي تميمة أم أنه بالفعل مجرد شبه؟

مجانين لكن ظرفاء .. جيهان دانيال .. تونس

كانت الساعة تشير الى منتصف الليل حين نزل من السيارة، رجل في منتصف العمر أنيق ببذلة راقية وحذاء باهض الثمن، يمشي مثقول الخطوات حزينا مطأطئا رأسه، وكأنّه يحمل على عاتقه هموم الدنيا وأحزان الحياة. اتّجه مباشرة نحو محطة القطار عاقدا العزم على تحقيق رغبته في الانتحار.

كان يعلم جيّدا أنّ موعد وصول القطار بعد نصف ساعة، وفي مثل هذا الوقت تكون قاعة الانتظار فارغة وتكاد تخلو من المسافرين، مما يجعله واثقا تماما من تحقيق رغبته في الموت بعيدا عن ضجيج العالمين.

رددت روحه في صمت قاتل:

–"ماهي إلا دقائق معدودة وأتحرر من عالم اللامبالاة، من عالم يتربع فيه اللاشيء على كل شيء. إذ لم يعد لي في هذا المكان لا وظيفة ولا دور، انتهى الأمر واّتضحت الرؤيا . بالأمس تخلّى الجميع عني أمّا الليلة فسأتخلّى أنا عنهم وعن دنياهم الزائفة . هنا ستكون النهاية والبداية"

تقدم بالخطوات صوب سكة الحديد محاولا تفحص المكان وسلامة السكة يترقب نور القطار الساطع من بعيد، وأنّ لا أحد بالجوار؛ لا منظّفون و لا حتى الحراس، التفت ذات اليمين فلم يلمح أحدا، وكذلك ذات الشمال فدنا من السكة خطوتين حتي صار على حافة الرصيف، استقام في وقفته وتنفس بعمق شديد وأغمض عينيه مطلقا العنان لإحساسه المرهف، حيث يخبره عقله الباطن بأنّ هنالك حياة جيّدة بانتظاره وأناسا طالما أراد الرحيل معهم. وفجأة قطع صوت امرأة عجوز صمت الليل الرهيب، وقطع معه حبل أفكاره المسترسل قائلة:

–"لا تخشى شيئا فقط افعلها.. أو ابتعد فأنا على عجلة من أمري وأكثر اصرارا منك على الرحيل "

التفت وراءه حيث مصدر الصوت فلمح سّيدة ثلاثينية، بيضاء البشرة بعينين واسعتين، جميلة الطلّة يلفُّ جسدها حجاب باللّون البنيّ، تضع على كتفها شالا رماديًّا، تعلو محياها ابتسامة ساخرة كانت نظراتها كلها حزن ويأس، جلست فوق المقعد الخشبي المخصص للمسافرين جلسة المستعجل وأردفت قائلة:

–"سيّدي المحترم أتعجب لم قد يرغب أمثالك في الانتحار؟ وقد ضحكت لهم الدنيا بملء فاهها ووهبتهم أرقى سبل العيش، وكيف تقنع روحك بفكرة الموت عن طيب خاطر؟"

فيما وقفت متجّهة نحوه وكأنّها تريد تفسيرا لموقفه هذا، وسببا وجيها لقدومه على الانتحار، فخاطبها قائلا:

–"لن أستغرب قولك هذا؟ أظنّ لكل واحد منا شأن يغنيه ويثقل كاهله، ومتى كانت السعادة تشترى بالمال وبالنفوذ؟ وما نحن فيه إلا تضحيات منّا لأجلكم ومن أجل بلادكم"

قاطعته قائلة بعدما وقفت أمامه مباشرة:

–"صدقا؛ كلكم ترددون نفس التعابير المملة الواهية والرتيبة، فلو معي المال والنفوذ ما تخليت عن وحيدي ولا اشتريت له الصحّة والبصر وجعلته سيّد قومه ينطق باللسان، ويحرك قدماه ويرتاد أفضل المدارس ويرتدي أثمن الأقمشة، لكن حظّي خذلني، فلو كان لديّ نفوذ لخفّ عبئي وهانت مأساتي، لكن للصبر حدود "يا سيد منتصر علّام" "السياسي المشهور"

–"إذن عرفتِ من أكون جيّدا حتى آخر لحظاتي محطّ اهتمام وأنظار الجميع أتمنّي لو أحيا حياة عادية مثلكم"

ـ "ربما في الآخرة"

ـ "هل لي أن أحظي بشرف معرفة اسمك سّيدتي؟"

ـ "أنا السيدة صابرين قاسم أشتغل ممرضة"

كانت الساعة الجدارية الكبيرة في المحطة تشير الى منتصف الليل وعشر دقائق، وفي غفلة منهم ودون سابق إنذار أو حذر قذفت لهم الأقدار فتاة شابة في مقتبل العمر ذات شعر كثير الألوان مجنون قد أطلقته للريح، ترتدي سروالا أزرقا ضيقا مزقت ركبتاه وسترة من الجلد سوداء اللون داكنة، كانت على رصيف المحطة تجري مندفعة نحو سكة القطار وهي تصرخ وتردد: "ابتعدوا اتركوني" عبارات تبعث التساؤل والحيرة سرعان ما تلقفها السيد "منتصر" بيديه ثم أحاطتها السيدة "صابرين" بذراعيها وشدّت عليها بقوة حيث كان التملص من حضنها صعب، فيما كانت الشابة تحاول التحرر نحو القطار أخفت الدموع ملامح وجهها الحقيقي، فسالت على خديها ألوان من الأنهار كلوحة زيتية أهلكت تقاسيمها الأمطار، وبعد هدّؤوا من روعها قليلا، ضحك السيّد منتصر ثم قال:

–"هذا ما ينقصني الآن، جئت للخلاص فصار الكل يبحث عن خلاصه، إنّها ليلة مجنونة كهذه الفتاة، يا لسخرية الأقدار!"

صرخت بوجهه صابرين وهي تقول:

–"ألا تملك قلبا رحيما ألم تكن يوما أبا يحنو على أطفاله، رفقا أيها السياسي المتكبر لمَ تفكر دائما في نفسك وأغراضك؟"

قهقه السيّد منتصر أكثر وقال:

ـ"حسنا سوف أتنازل عن مقعدي الأول في الانتحار لصالح هذه الشابة، فللشباب الأولوية والمبادرة، ثم إنّي الآن غير مستعجل فلا أحد يهتم لأمري، فلا أهل لي، فقد حرمتني الدنيا من زينتها المحببة لقلبي" ثم صمت في تأمّل.

أخذت صابرين يدها الناعمة وبرفق، رفعت رأس الشابة وسألتها عن اسمها وسبب قدومها للمحطة في هذا الوقت المتأخر من الليل، وهل من شخص معها؟

قالت الشابة بعد أن هدأت:

ـ "أدعى "إيفاء سالم" أدرس بكلية الفنون الجميلة، كنت على موعد لألتقي بخطيبي هذا المساء على العشاء في مطعم مشهور، لكّنه تأخّر عنّي فارتأيت أن أستقل سيارة أجرة للمطعم وأنتظره هناك وحينما دخلت القاعة وجدته غارقا في الضحكات والنكات مع سيّدة راقية تكبره بسنوات، تقدمت منه وقد أزحت كل الشكوك عن مخيلتي، وكان ذهني صاف من الشوائب تجاهه، تقدمت وخاطبته:

– يا حبيبي لم تركتني أنتظرك وسط الظلام والبرد اللاذع وأنت هنا؟ أقلّها تخبرني أنّك لن تصطحبني".

رفع نظره اليّ بتملق وازدراء ورمقني بنظرة اشمئزاز، وكأنّه يراني أول مرّة وقال.. قلبي لا يتسع لامرأتين، وخاصة لطفلة متبرجة كعروس الدمى، ما تزال مراهقة تدرس، أنت لا تناسبيني ولن تناسبيني يوما، ولست بخطيبك منذ اللحظة. توسلت إليه أن يتريث قليلا فلا يحكم على الناس بالمظاهر، فلا ثيابي وتبرجي دليل تهور، ولا تلك السيدة بمظهرها الراقي وأسلوبها البرجوازي بمتطورة، لكنّه رفضني بشّدة ونسي كل ذكرياتنا وأمانينا وأحلامنا وطردني من المطعم كخادمة"

ربتت صابرين على كتفها وضمّتها لصدرها وقالت:

–"ما زلت شابة وستمكنك الحياة من فرص أخري أثمن وأبقي.. فالحياة لا تقف على خائن أو مريض أو متكبر، لا تيأسي جففي دموعك واملئي قلبك بالإيمان وفكري في الجانب المشرق للحياة"

ابتعدت ايفاء عن السيدة صابرين وقالت:

–" لكن من أنت ؟ وهل أنت مسافرة سيّدتي ؟

كانت تردد أسئلتها وهي تمسح الدموع من أحداقها:

أجاب منتصر بيك" هي ضحية مثلك غير أنّها تهدى النصائح ولا تعمل بها "

اغتاظت صابرين من قوله فرددت: "سّيدي أمثالك يدفعوننا للانتحار، لكن صدقا لو كنت ستنتحر أولا، فلا مجال لي للانتحار بعدك فالحياة بدونكم أنظف."

التفتت "إيفاء" للرجل بعد أن نسيت أمره للحظات، قالت: "السيد منتصر علاّم الرجل السياسي واو كنت أتمنى أن أراك حقيقة لكّنها كانت أمنية مستحيلة وها أنا الآن التقيك"

ـ قالت: (صابرين ضاحكة)" إطمئني عزيزتي كلنا سنلتقي في الجحيم"

رفع السيد منتصر بصره للساعة حتى يطمئن على قدوم القطار فهو ما يزال في قراراته مصرا على ارتكاب هذه الخطيئة والجريمة. كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل وخمسة وعشرين دقيقة، مما يعني أن الوقت يداهمهم ،فما تزال بعد خمس دقائق ردد منتصر قائلا:

–"هيا يا جماعة من منكم مازال يريد الانتحار، فليتقدم أمّا المتردّد فليغادرنا بسلام باقي من الزمن خمس دقائق"

سمع من بعيد وقع أقدام متجهة صوبه وصوت عال يردد:

–"أنا هنا انتظروني وهل يوجد مهرجان بدوني"

كان شابا طويل القامة، معتدل المشية، واثق الخطوة، ثابتا ووسيما، توحى طلّته بنضوجه الفكري ومستواه الثقافي، يمشي الهوينا كأنّه آس يجس عليلا ثم أكمل كلامه:

ـ "لا أظنّني أرغب بالعيش مرّة أخرى، فصدقا مللت الركض خلف البحث عن وظيفة تناسب شهادتي العلمية تعيلني وتحقق كرامتي، وأرهقت النفس بالتمني ورسم أحلام وطموحات تكاد تكون سرابا، ناهيك عن كونى تقلدت جميع المهن والحرف دون جدوى، في كل مرة أعود خائر القوى، يائس النفس، مكسور الخاطر، فبالله عليكم أخبروني ما حاجتي للعيش "

خاطبه السيد "منتصر علّام" بنظرة تعجب:

–"قد يحقّ لي الانتحار فأنا رجل على مشارف الستين، وقد تملكني اليأس حد النخاع، ولأن الحياة وهبتني ما أريد من أنواع البذخ والترف والأمنيات والأصدقاء، بالمقابل حرمتني من أغلى معاني الدفء العائلي، وفي لمح البصر ضاع كل شيء وتلاشى خلف خيالات الصداقة وأوهام السيادة، أما عن السيدة "صابرين قاسم" فلها كل الحق في مغادرة هذه الحياة لعلها تجد السلام والراحة في بقاع أخرى، وتلك الشابة المتعجرفة المتنمّقة إيفاء سالم" ليس لها مكان هنا بين الخونة وعديمي الاحساس أما عنك فإنّي لمتعجب لأمرك كيف لك أن تقدم على مثل هذا الصنيع؟ وأنت مثال للشاب الأنيق الراقي حسب ما يوحيه مظهرك ومثالا للفطنة والعطاء والفكر المثقف، انطلاقا من حسن

كلامك وأسلوبك في الحوار هل لك من تفسير؟ أظف إلى كونك من شباب المستقبل وركيزة المجتمع ! "

انظم الشاب إلى الركب ونظر إلى كل واحد فيهم على حدة وأشار إلى السيد قائلا:

–"سيد منتصر علاّم أنا الشاب "مؤمن" قاطعته ايفاء كعادتها متسرعة بالردّ:

ـ"كلنا مؤمنين يا أخ ولا دخل للإيمان في قضيتنا، لكل منا وجهة نظره السديدة ودافعه المقنع للانتحار، ناهيك عن طول التجلّد"

ـ "آنستي أمهلوني لحظة لأعبر عن كينونتي وأثبت وجودي من حقي أن أقدم نفسي قبل الرحيل، أن أترك بصمتي والتي بفضلكم حرمتمونيها قلت أنا "مؤمن شاكر" وهو اسمي وكنيتي إضافة إلي كونه معتقدي ودليل انتمائي للإسلام، ثم إن دافعي الوحيد لأنهي حياتي أنّي عاطل عن العمل كما سبق وذكرت لمدة قد أخجل لقولها أو أني نسيت تعدادها "

منتصر علاّم: "حسنا دقيقة واحدة تفصلنا عن الرحيل أريد منكم الثبات والاستغفار التام ورباطة الجأش والإيمان الكلي بأنّ هنالك محطة أخرى سننزل بها دون تكاليف ولا ألم، دون ممارسات اضطهادية بعالم سيحتضن كل واحد منا برفق وأمان، فقط تأكدّوا من حسن الختام كما أني أحذركم من كون الإخفاق في هذه العملية له نتائج سلبية أهمها

أن تقضي باقي حياتك البائسة بين جدران قاتمة وغرفة مظلمة، وأنت مذنب بحق نفسك وحق البشرية التي لن تكون أرحم من الخالق الذي لن يهبك فرصة أثمن من هذه مع أناس يجمعهم بك رابط اليأس وصلة الندم "

ـ"خطبة بتراء رائعة من سياسي متمكّن، لقد أقنعتنا أكثر بالرحيل شكرا لك "هكذا رددت السيّدة صابرين:

ـ منتصر علاّم "على الرحب سيّدتي ألقاكِ في الجانب الآخر "

اصطّف الجمع على حافة السكّة متمسكين برغبتهم ومتكتلين لتنفيذ مخططهم، فيما ظهر من بعيد ضوء أبيض ساطع يقترب شيئا فشيئا، يشق ظلمة النفق مسرعًا...

لم الاستعجال أيها القطار؟ ففي العجلة الندامة أفلا تدرك أيّها الموت أنّك تسلب منا أرواحا، نحن بحاجة لها، أرواح بمقدورك أن تعطبها فرصة النجاة لتكفّر عن ذنوبها أو تحقق آمالها، لكن عبثا قولي، هذا فالضوء اقترب أكثر وقد حانت الساعة لا ريب فيها

وفيما كانوا يقفون بعزم قال مؤمن:

–"غريب لأول مرة أرى ضوء القطار دون سماع صفيره المزعج!"

ـ "قالت ايفاء التكنولوجيا عزيزي أمر مريع وسرعة القطار تفوق الصوت هنيئا لنا بموت متطور لا مجال للألم بعده" ثم ضحكت لأول مرة.

–"حقيقة أمر غريب ألم تلحظوا أنّ هذا الضوء يظهر ثم يختفي لا يستقر؟ عادّة ضوء القاطرة يكون ساطع يملأ النفق ولا يتقطع" قال مؤمن:

–صابرين: "الأغرب أنّه ضوء واحد ينبثق من وسط العتمة خلافا لضوء القطار الثلاثي، ترى هل هو القطار فعلا؟ إنّه منتصف الليل والنصف. وقت قدومه"

وفيما هم في آرائهم يختلفون وأفكارهم يتناقشون ويحللّون ويدحضون في هذا الضوء العجيب اقترب الضوء وصدر منه صوت مزعج خشن لم يكن صوت الصافرة طبعا، إنما هو صوت حارس المحطة يوبخهم من بعيد حيث تمكن من رؤيتهم لكونه في الظلام خفي الملامح أمّا هم ففي النور حجب عنهم رؤيته ولم يتمكنوا إلا من سماع صراخه:

ـ"يا أيّها المجانين ابتعدوا عن السكة، تنحوا جانبا أترغبون في الهلاك، ما بالكم؟ "

علا صوت الممرضة:

–"هذا هو المطلوب أيّها النبيه "

ـ "قال الحارس بعد أن اقترب منهم جميعا وأطفأ الكشّاف، إذا هذه الليلة ليست بليلة حظّكم يا جماعة ثم طفق يضحك"

نطق الجميع باستغراب تام:

ـ "ضوء كشّاف وأين القطار"

ـ الحارس" لو كنت مكانكم لأسرعت إلى المحطة رقم ١٧ حيث اتّجه القطار حاليا إلى هناك نظرا لكون هذا الخط من السكة معطل للتصليحات، لذلك لا يوجد ركاب غيركم " ثم أكمل سيره عبر النفق وهو يضحك ويردد "لا حول ولا قوة الا بالله "

حّدق الجمع إلى بعضهم بتعجب ثم ضحكوا معا بصوت عال. صمتت الممرضة لبرهة ثم قالت:

ـ " أظّنني سأغير طريقة انتحاري فلا شيء يجدي هنا "

ـ إيفاء "إذن خذيني معك"

ـ الممرضة صابرين" لم قد أفعل، هل احتاج إلى معاونة أو مشجعة"

ـ ايفاء "لا بل قد تحتاجين إلى من يتجرع معك نفس الكأس من السّم "

ـ الممرضة "فكرة مقبولة أحسنت سآخذك"

ـ مؤمن" وأنا ماذا عني؟ لا يوجد عندي سم ولا حبل ولا أقوى على طعن نفسي"

ـ السيد منتصر علاّم "جيدّ عندي خطّة للجميع ترضي كل الأذواق"

ـ مؤمن" هيا أخبرنا يا صاحب السعادة أيها الفذّ"

ـ أرى أن تتجمعوا كلكم وسط الطريق وأسرع أنا بالقيادة ثم أدهسكم دفعة واحدة"

ـ "هكذا تصبح جريمة وليست انتحار" وماذا عنك !؟ من سيقتلك؟ ! وكيف ستنتحر؟!

قالت الممرضة.

ـ منتصر علاّم "جريمة أو انتحار فالغاية واحدة هي الموت أمّا عني فأمري بسيط أنا أملك مسدسا في سيارتي وعدة طلقات به أنتحر تكفي"

خاطبته ايفاء مستفسرة:

ـ"ولم قد تختار القطار إذا كان لديك مسدس؟!"

ـ منتصر علاّم "كنت متردّدا بعض الشيء، لكنّكم شجعتموني ثم إن الموت في مكان مفتوح يختلف عن الموت في مكان مغلق"

أردف مؤمن قائلا:

ـ"تبا لك حتي بالموت لا خيار لنا، أنتم من ترسمون أقدارنا ثم من يضمن لنا انّك ستحيا بعد مقتلنا وتنجوا بفعلتك؟؟

قالت الممرضة بهدوء تام:

ـ"لم قد نختلف تعددت الأسباب والموت واحد، فكم عدد طلقات المسدس سيد منتصر"

منتصر علاّم: " فقط ثلاث طلقات"

ضحكت ايفاء وقالت:

ـ"هذا لا يساعد أبّدا لعل الحارس كان محقا إنّها ليست بليلة حظّنا"

الممرضة صابرين:

ـ"بل هي كذلك، ما رأيكم لو ذهبنا ألي الجسر وهناك نستطيع أن نرمي بأنفسنا دون تردد وسويّا"

قاطعها منتصر علام:

ـ"هل من أحد يتقن السباحة، أنا كبير بالسن ولم أتعلم السباحة وذلك حتى لا يتسنى لأحدكم أن ينقذ الآخر"، قالت ايفاء ومعها صابرين

"لا أنا.. ولا أنا "

أجاب مؤمن وهو يسخر منهم:

ـ"ليس هناك جسر فوق النهر، إنما هو جسر لنهر جاف منذ سنين ! "

استدارت ايفاء للممرضة صابرين وأردفت تقول بصوت المتهكم:

"ماذا أتريدينا أن نتألم حتي الموت، كم أنت جاحدة ولا تفكري إلا في نفسك! أين الرحمة يا ملاك الرحمة !"

قاطعهما السيد منتصر علاّم قائلا:

ـ "رجاء هدوء لا نريد مشاحنات ولا شجارات فلنغادر إلى السيّارة لعّلنا نجد حلّا"

قالت الممرضة:

ـ" أخشى أن تهدأ روحي بتمهل وتستسلم لأمر الواقع وأعود لمعاناتي مع وليدي"

بأسف يعقبه فشل أجابتها إيفاء:

ـ"أنا كذلك الآن منذ أن تحاورت معكم وشاركتكم أحزانكم وضحكاتكم أحسست بنوع من الأمل بداخلي"

قال مؤمن شاكرا:

ـ"صراحة منذ أن لمحتكم عرفت أن العملية بأكملها فاشلة وأنتم قوم فاشلين لا فائدة ترجى منكم، ما زال بداخلكم قبس الحياة مشتعل وبصيص من الأمل خفيّ، أما عني فلا أحتاج إلا فنجان قهوة تركي وسيجارة كوبية يخففان عني حدّة الفشل الذي أصابني منكم ومن مجتمعي"

رمقهم السيد منتصر علاّم بنظرة شفقة وتأسف ثم ابتسم وقال في هدوء وثبات:

ـ"هيا يا معشر الحمقى قذفتكم الأقدار بطريقي حتى تثبت لي أنّ هنالك أشخاصا يحتاجونني بالفكر والتجارب والمال، تبا لكم فقد أحببتكم وذاك يقول فنجان قهوة تركي

وسيجارة كوبية والأخرى تتلفظ بعبارات والأمل والحب.. هيا استقلوا سيارتي سنتجه نحو فندق الأحلام نبيت الليلة فيه وغدا سأري ما أنا فاعل بكم يا مجانين".

سار الجمع خارج المحطة باتجاه السيارة السوداء المركونة على حافة الرصيف ثم عرج مؤمن على ايفاء وخاطبها بهمس:

ـ"إذا لم تمانعي أريد رقم هاتفك الجوال ربما أحتاجه لعملية انتحار جماعية ناجحة"

رددت صابرين وقد ابتسم ثغرها:

ـ "فعلا ليست ليلة حظّنا بل غدا يوم حظناّ"

فيما أشار منتصر علاّم إلى الممرضة بيده بكل أدب وفتح لها باب السيارة الأمامي مخاطبا:

ـ "هل يسمح لي ملاك الرحمة بأن يجلس بجانبي"

مجرّد جثّة .. دعاء جقريف .. الجزائر

تشعر بالاختناق، تحاول الخروج من كبسولة الأوهام و أن تقلب كأس الحنظل ذاك.. فالسواد يكاد يخيم على روحها..

تبحث في مجرة خيالها عن وميض ينتشلها من غفوة يقظتها فتلك الأطياف ما زالت تلاحقها.. تلك الأرجل الفاحمة والأصوات الصاخبة ما زالت تقطنها، لكن هذه المرة في جوف كلمات قتلت الحياة داخلها: " أنت مجرد جثة"

***

نسمات حريرية توقظ الحب من غفوته و هواء نقي يبذذ كلالة الحياة المرة ،أشعة الشمس تتسلل خلسة تخترق نوافذ الشقق، و جو ربيعي غن يدفع الروح لتبحر في الأفق.

لم يكن بوسع الجسد الرقيق الناعم النائم الآن إلا أن يستجيب لمغريات الطبيعة المسالمة، فشعر الشمس الذهبي نام بين قسمات وجه جميل، وانتشله من بين أحضان الأحلام الزمردية. الغرفة متخمة بالصور، بعضها ملصقة بالحائط وأخرى موضوعة

ببروزات على الطاولة، صور غاية في الجمال، وجلها عبارة عن خطوط مشخبطة بألوان داكنة، تسحبك لرؤى بعيدة، ملولبة معقدة غامضة كنقطة سوداء في دجى الليل..

هنالك في الزاوية تجلس "إيملي"، فتاة في العقد الثاني من عمرها، غاية في الجمال مالكة لابتسامة تخر لها يواقيت العالم، تحمل بين راحات يديها لوحة ناصعة البياض على شكل سداسي، ممسكة فرشات للتلوين ملطخة باللون الأسود، ترسم دوائرا، كل دائرة تأخذ مكان لا بأس به في الدائرة الأخرى.. إذا رأيتها بدت لك وكأنها حرب دوائر سوداء.!

"يقال أن عشاق اللون الأسود ذوي شخصية غامضة، والغموض مسحة من القوة، ويقال أن عشاق هذا اللون الأكثر انكسارا وانتكاسا من غيرهم، أوَ ليس هذا منعطف تناقضي؟!

–"أين أنت يا إيملي؟ إنها التاسعة الفطور جاهز عزيزتي"

يتعالى الصوت مرة و ثلاث.. والسماعات التي تضعها تمنع اختراقه طبلات أذنيها..

يقترب المنادي صوب الباب و يلجها.. هي "كريستين" أم إيملي ذات ملامح وقوام يشي بشيء من العظمة مصحوبة بجمال عيونها الزرقاء، ونبرة صوت مدغدغة للإحساس.

–"هاااي ألم تسمعيني "تنزع السماعات المتراقصة وصخب الموسيقى ..

و ترد عليها متأوهة "آه حسنا حسنا سأنزل حالا "

نزعت كل ما كان يشغلني لحظتها، ووقفت بالقرب من النافذة أتأمل الطبيعة، روائح الياسمين ورد أصفر، وآخر أحمر يطل من شرفة جارنا، جرفتني جمالية المنظر ولطافة الجو فكدت أهوي داخل دوامة من التيهان.. لو لم توقظني الرسالة التي وصلتني عبر"الوات ساب": "مللت من كل شيء يكدر مزاجي مللت من ذكرياتي العلقمية التي تحاول جري نحو بالوعة اللإنهيار، نحو السواد اللامتناهي إيملي أريد فرصة أخيرة لتصليح خطئي "

– "أي فرصة لا تزال قابلة للتقديم كارل؟ "

انتظرت رده، فلم يرد، واصلت دون انقطاع:

"أتدري أيها الكادح وسط خراب روحي أن الأمر مستحيل؟ الأمر أشبه بأسطورة قديمة أكلها غبار النسيان، حضنها بقوة فدفع بها القدر إلى آخر رف في مكتبة يونانية منسية..!

***

الساعة تدور حول نفسها وعقاربها ترقص بعشوائية، على موسيقى الروك الصاخبة تلف وتلف حتى تعبت بطاريتها وثبت الرقاص على الثانية عشر من منتصف الليل"، الأمر الآن مماثل لسيناريو فلم رعب يحوي بين طياته خزعبلات الأرواح الشريرة، وها أنا كجثة هامدة تقلم أظافر الثواني، تنتظر دون أن تنبس ببنت شفة ماذا سيحدث بعدها.

–ما بك يا إيملي ما كل هذا؟

طلبت منك الصفح، وترجيتك و أخبرتك أنني لا زلت أنهش الدقائق وأقضم الأيام لنلتقي من جديد، الغربة صعبة وأنت تدرين هذا، و الأمر غربتي عن قلبك، عن حضنك و ابتسامتك.. اسمعيني إذا أنا أحمق كادح وسط حطام ذاتي هل هذا يربحك الآن؟

نعم أنا كذلك، أبحث عني كل دقيقة لكن أطلالي تحاصرني، تباغتني وترمي بي إلى مجرة دامسة، لم أعد أعي أين أنا من كل هذه الفوضى، قاب تضاد أصبحت، وقاب جرحين عميقين..

أفتش عن ذكرياتي الجميلة، عن أيامي السماوية، فلم أجد سوى قشور صفراء سيرمي بها البستاني اليوم قبل غد. إيملي أحلامي من دونك كصيب مفتقر للمطر!

أنا لا شيء، مجرد نقطة سوداء في غسق الليل و السديم المضحل!

***

أغلقت صفحة المحادثة و أطفأت هاتفي، هل هذا قدري في هذه الحياة؟ أن أنتشي بالحزن و أحقن بمورفين سعادة مزيف! أن أخون ذلك الحزن و أضحك عليه، وبكل هستيرية كمجنون أصيب بلعنة، ألعب معه الغميضة، وأنا الكفيف الذي لا يختبأ.. ولو

أراد لا يجد مكانا للاختباء، يمسك يدي و يحضنني حتى تنقطع أنفاسي، ترى هل يحبني؟

حتى الأشباح لم ترحمني، تزورني في عز النهار و اندثار الصبح المنقشع.. تزور دماغي وتتوغل أرجلها الفاحمة وجثثها الشوكية ناخرة بذلك أعماق رأسي، رافقها كلاب ضارية ترقص بعشوائية على ألحان فاقت أنغامها الإزعاج. حقا أشعر بالاختناق.

أحاول الخروج من كبسولة الأوهام و أن أقلب كأس الحنظل ذاك، فالسواد يكاد يخيم على روحي، أبحث في مجرة خيالي، عن وميض ينتشلني من غفوة يقظتي، فتلك الأطياف لا زالت تلاحقني، تلك الأرجل الفاحمة و الأصوات الصاخبة ما زالت تؤرقني، لكن هذه المرة في جوف كلمات قتلت الحياة داخلي"أنت مجرد جثة جاثية تحت قبر منسي، أكله غبار النسيان"

تغريدة حب .. ريان العيدون .. الجزائر

قام كلاهما بتحضيرات سريعة للزفاف، فقد آن أوان اقتران الأرواح تحت سقف واحد على سنة الله ونبيه. قام عرس يذكر في كل الألسنة شهدته الأشجار والزهور وكذلك الشمس والغيوم، وعلى أنغام العصافير المحلقة المتراقصة. والتقطوا صورة جماعية لهما رفقة كل من شهد حبهما، وكذا الأطفال الصغار الذين حجزوا معا في يوم مضى. استوطنت السعادة قلوب الجميع، واستقرت هناك مدى الحياة.

***

بعيدا عن بقايا هذا العالم البائس، بعيدا عن بقاع العالم المزدحمة، بين ثنايا الحقبة المعاصرة، في قرية صغيرة وسط الجبل عاشت فتاة مزهرة تدعى أفنان تبلغ من العمر ثمانية عشر ربيعا، كانت تحيا على الكتب تتنفسها وتستنشق عبق أوراقها، تتغذى من كل كلمة جملة و فقرات.. كانت أفنان غريبة الأطوار في نظر الجميع سوى العاشق الولهان أمجد، كان يراها أكثر شخص حي في القرية، بينما الآخرون يرونها منعزلة في كتبها تخبئ بين أوراقها كآبتها، يراها الجميع عالة على المجتمع لن يضفي وجودها رفقة كتبها لونا خاصا للحياة، بينما أمجد كانت له ألوانه السبعة الزاهية فتضفي فوق الحياة حياة!

ما أجمل التجوال في كيان وقلب المحب المهيم، ذلك الشاب الوسيم ذو الثالثة والعشرين خريفا، طويل كالجبل مفتول العضلات كالصخر، كان خمري البشرة كحبات الرمل المتلألئة التي تعلوها زرقة البحر المندفعة أمواجها، فقد اندفعت أمواج عينيه البراقتين وسط عتمة الليل نحو نجمته السماوية غريبة الأطوار التي تقف بجانب نافذتها حاملة أكسجينها الذي ينسيها تعب يومها وانتقادات السلبيين، تنظر للقمر تارة فتؤنسه في وحدته، ثم تنظر لصديقاتها النجمات تارة أخرى، لتقص عليهم ما حدث في يومها غير مدركة أن البدر الذي يقابل مسكنها غارق في أوهام و أحلام هي بطلتها..

حل الصباح بما يحمله من جرعات تفاءل و رشفات من الإيجابية، واستيقظت معه أفنان مقبلة أفنان الأشجار المحيطة بنافذتها من كل جانب، والتي لطالما اعتبرتها عالمها الصغير ، جلست بجوارها ترتشف قهوتها الناعمة لتعانق الشمس المنيرة، ثم تغني مع العصافير تغريدة، وها هي الآن تدور حول نفسها وتراقص الفراشات!! بالجهة المقابلة نجد أمجد ذاك الذي يحملق في غرابتها يراقب كل خطوة تخطوها يتغزل بشعرها المسود المنسدل، تمدد أمجد على فراشه مقلبا قنوات التلفاز المملة، مواجها أخبارا تهز البدن عن أطفال كالمسك، يختطفون من قبل عصابة لا ترحم مختبئة رفقة الأولاد ومن يدري ما سيحصل بعد الآن، شعر أمجد بشيء مزق روحه حائرا كيف استطاع المجرمون فعل كل هذه الجلبة وحرق قلوب الأهالي دون أن يرف لهم جفن، عين لكن وجود أفنان صوب نافذته طمأنه بأن الحياة مازالت على قيد الحياة.

في صباح اليوم التالي خرجت أفنان من منزلها بحلة زاهية كأنها ذاهبة في موعد غرامي. غادرت الفراشة بقطارها إلى المدينة وما يرافقها من زحام الناس وتراصهم كخلية النحل؛ توجهت الفتاة نحو أكبر مكتبة في المكان لتقتات منها ما يكفي لتعيش بسلام ولو لفترة قصيرة المدى، وما إن خرجت حتى لفت انتباهها طفل صغير ينظر إليها وكأنه يستغيثها لتغيثه، يمشي بخطى صغيرة رفقة رجلين غريبين، فقامت بتعقبهم وتتبع خطاهم، تتساءل فيما بينها عن حال هذا الولد وأولئك الرجال حين انفردوا في شارع صغير فارغ، شرعوا بجر الولد وكتم أنفاسه، يبدو أن عملية اختطاف تجري الآن، حاولت أفنان نجدته مطلقة العنان لصراخها، إلا أن محاولتها باءت بالفشل حين أمسك بياقتها رجل ضخم الشكيمة ذو حاجبان مقوسان كثيفان، أصلع الرأس يرمق الفتاة بنظرات حادة وموحشة، لو رأيتها لوليت منها رعبًا.

أخذ الرجال أفنان والطفل نحو مستودع تفوح منه رائحة الجيف النتنة كله وأتربة وحشرات موحشة كوجوههم..

تحسست البنت المكان فوجدت أولادا و بناتا صغارا حجبوا عن أهاليهم، الرعب قيد قلوبهم والحزن أضحى قريبهم، أما الدموع فصارت وديان تشق طريقهم، اقتربت منهم بلطف هدأت من روعهم فأخبروها بأنهم حجزوا في هذا القفص قرابة الشهرين رفقة أصدقاءهم الذين تم بيعهم إلى بقاع أخرى من العالم بعد أن تم تعذيبهم، وسيحين

دورهم ولو بعد حين، حينها تملك الخوف من روح المسكينة صعقت مما سمعته واهتزت أضلعها مرددة مع نفسها بخوف:

–"هاا قد تورطت هنا، لقد قضي علي في هذه المزبلة اللعينة رفقة الأطفال، افف لقد تورطنا مع تجار الأرواح؟ يا الله.. يا عالما بحالي.. أنقذني من هذه النكبات، وباعد بيني وبين كل البلوات.

ظلت المسكينة والملائكة على هذه الحال مدة ثلاث أيام يقتاتون على الخبز القديم، و جرعات صغيرة من الماء فقط كي تبتل عروقهم ولا يلقوا حتفهم..

اشتاق المحب أمجد لمحبوبته التي ما عاد يراها، مما أنبت الشك ثماره في قلبه الذي ظل يتفحص نافذتها ليل نهار، آملا أن تطل عليه لتشرق شمس صباحه من جديد، وتلوِّنَ عالمه الرمادي، فخرج إلى المدينة بحثا عنها.

رجل ضخم ذو شارب طويل دلف إلى المستودع أو ما يعرف بالجحيم، يرتدي قلنسوة حمراء مزركشة بالأصفر وكأنه جاء من عصر التسعينات، حاملا قطع خبز صغيرة وقنينة ماء كعادته فقط كي يبقى الأطفال على قيد الحياة إلى حين أن يباعوا.

وصل أمجد إلى المدينة وكله رعب و ارتجاف، بدأ يزور كل محلات المدينة و خاصة المكتبات، فقد كان يعلم كل شاردة وواردة عن محبوبته، كان يعلم أنها دوما ما تذهب للمكتبات لتقتني بعض المواليد الأدبية؛ في كل مرة يتوقف عند محل ما يقوم بوصف ملامحها للبائع لربما يتذكرها أو يزوده بمعلومة عنها، لكن ما من جدوى، بعد

وقت ليس بقصير دلف إلى المكتبة التي كانت فيها معلقا آماله لربما يزوده أحد بما يريد، سأل البائع فرد عليه بلامبالاة :

–" لا أعرف، ولم أتذكرها! كيف لعقلي أن يتذكر الكم الهائل من الزبائن !"

طأطأ الشاب رأسه وخرج نحو المارة يسألهم عنها، حتى أجابه أحدهم بأنه رآها تتمشى بخطى سريعة رفقة رجل ربما هو شقيقها من يدري وتوجهوا إلى ذاك الشارع؛ ازدرد أمجد ريقه وخطى خطوات كلها أمل ففي كل خطوة يخطوها يراوده شعور بأن محبوبته تأذت إلا أنه يستطرده مستقبلا الآمال.

دحمس الليل، وسكنت الأرواح، فأسند الشاب رأسه على باب كبير بعد أن نخر التعب عظامه حتى سمع أصوات غريبة كصراخ أو بكاء، سَخَّرَ كل تركيزه حتى سمع أصواتا متدافعة تطلب النجدة، طرق الباب بقوة، حينها قام المختطف بفتحه سائلا أمجد:

– "من أنت؟ وماذا تريد يا هذا؟"

– " عفوا سيدي فقد اجتاح سمعي أصوات غريبة كأن مجموعة كبيرة كلها تصرخ طالبة النجدة"

–"أغرب عني أيها الأبله، يبدو أن سمعك خاطئ ، ما من أحد هنا سواي!"

استغرب أمجد وظن لوهلة أنه مخطئ حتى استوقفه صريخ يطلب النجدة وبكاء ونواح بنشيج مسموع؛ مما أربك كل هذا الرجل فأسرع يغلق بابه، وها هو ذا أمجد يندفع نحو الرجل وانقض عليه كما ينقض المفترس على فريسته، ناول كل منهما للآخر بضع

لكمات ثم تسللت يد أمجد نحو المفتاح الذي بحوزة تاجر الأرواح، وماهي إلا لحظات حتى استلقى أمجد على الأرض إثر ضربة على رأسه من قبل باقي أفراد العصابة، قام أولئك التجار بجره حيث يتواجد الأطفال؛ اندهشت أفنان عندما رأته واندفعت نحوه مسرعة موقظة إياه، ما إن استفاق حتى صاح:

– " يا غريبة الأطوار ما الذي تفعلينه هنا؟"

فانزعجت مما قاله قليلا ثم همهمت قائلة :

– "بل ماذا تفعل أنت هنا يا جار؟! إضافة إلى هذا اقتني أبهى الألفاظ معي ولا تنعتني بغريبة الأطوار "

– "لم أرك هذه الآونة بتاتا، فقلقت وخرجت بحثا عنك، وبعد أن خارت قواي افترشت أرضية الشارع بجانب الباب حتى سمعت أصواتا غريبة"

أفنان بغرابة و فضول:

"لما من بين الجميع أنت فقط من تحسس غيابي ولاحظه!! آاااه يبدو أنني نسيت بأنني أتربع على الهوامش! "

فرد بعينين باسمتين:

–"لأنني وبكل بساطة من بين الجميع رأيتك أنت، من بين الجميع أنت فقط من اصطدتي قلبي، ومن بين الجميع أنت فقط من سرقت كامل فكري وعقلي، لم أجد نفسي يوما بين السطور، كانت روحي في كل مرة تزحف نحو زخرف الهوامش المتناسي"

اتسعت حدقتا عينيها واحمرت وجنتاها خجلا، فهي لم تتوقع أن يحبها أحد في تلك القرية، خاصة جارها الذي لم تعره أي اهتمام، فهمهمت قائلة بكل توتر بعد أن شاحت بعينيها إلى أي شيء غير وجهه:

– "شكرا لكن كيف سنخرج من هنا؟ فنحن هنا بين تجار الأرواح"

فأردف قائلا:

– والثقة تعلو ملامحه أنه سرق المفتاح ويتوجب عليهم التفكير في خطة سديدة كي يختفوا عن أنظار الحراس، بدأ يقص عليهم تفاصيل الخطة بينما أفنان تاهت في تفاصيله وسبحت في بحر عينيه رغم أن قلبها لا يجيد السباحة؛ انتظر الجميع حين يجتمع الحراس وتبقى الأبواب متروكة، نام الجميع سوى أمجد ظل ساهرا مع ضوء القمر النابع من الفتحة الصغيرة التي تعلو المستودع.

في صباح اليوم التالي استيقظ الجميع وكلهم أمل و إصرار يتهامسون فيما بينهم؛ أشار الشاب بعينيه نحو محبوبته وخرج خلسة وأفنان وراءه حتى لمحهم فرد من العصابة فحاول أن ينقض على الفتاة فضربه أمجد بوحشية وأبعده عنها، أحست البريئة بشعور هي لم تستطع فهم شعور غريب عنها وكأن شيء ما احتلها، شيء ما اجتاح كيانها إلا أنها أحبته فأيقظتها صفعة قوية من رجل آخر التحق بصديقه رفقة الآخرين، خرج الأطفال مندفعين نحو المجرمين، كل مجموعة صغيرة تنقض على واحد منهم، منهم من يعض، ومنهم من يخدش وكذا منهم من يلكم، أما أمجد فقد انهال عليهم بالضرب، أفنان هي

الأخرى لم تهدأ، وقامت بلكم من صفعها نحو بطنه وأبرحته ضربا بقطعة الخشب التي جعلت منها سلاحا قويا؛ هرب الجميع من السجن وحضرت الشرطة حين ناداها أمجد بعد أن قيد المجرمين، فألقت بالقبض عليهم وبدأت بالتحقيق معهم وبعد محاولات شتى ليلا نهارا كي يزودوهم بمعلومة ما، لكن ما من فائدة.

بعد مرور أسبوع واحد اعترف واحد منهم:

– "لقد قمنا بتوصيل الأولاد بشاحنة ضخمة عند الحدود، وهم الآن ينتظرون مني ما تبقى من الأطفال الآخرين وسيمكثون هناك قرابة أسبوع كي يقتنصوا فرصة تمكنهم من تخطي الحراس.

أسرعت الشرطة واستطاعت اللحاق بالأولاد وعادت كل ثمرة صغيرة إلى شجرتها، و اجتمعوا كما تجتمع قطع الألعاب الممزقة، أصبح الجو هكذا كله قبلات و أحضان.

هرولت أفنان نحو سريرها وتمددت، فمر شريط ذكرياتها حول المغامرة التي خاضتها رفقة جارها أمام عينيها، تذكرت ملامحه وضحكته، لمْعَة عينيه وكل ما قاله، فانفرجت أساريرها وانبعتت من أعماقها بسمة صافية تضج فرحا وحماسا. أراحت الفتاة عينيها قليلا.. حل المساء بما يحمله معه من سكنات، فتوجهت نحو نافذتها بكتابها تنتظر أميرها لعله يختلس النظر لأميرته، فها هو ذا يطل عليها بإيماءات حانية و البسمات تتطاير في الهواء ، أما النظرات التي كانت بينهما كأنها تحكي آلاف القصص والأساطير عن حب جميل لبثينة أو قيس حين جن بليلى، أو ربما عاشقان منسيان في بقعة منسية،

كعصافير مغردة التقت فوق غصن ما، أو ربما كرقصة نابعة من القلب تحت مطر هامس بكلمات الحب والهيام، من يدري قد تكون كالتقاء الشمس و القمر مرة في العام.

مرت الأيام على حالتهما، ثم أسابيع وأخرى شهور، يلتقيان عند البقال فيبتسمان ثم يسافران إلى المدينة معا ويتبادلان أطراف الحديث، ففي كل يوم تبوح الأعين عما يعجز اللسان عن قوله وتتناقله النوافذ بين بعضهما وكذا يسهران ممسكان الهواتف يتناقلان الرسائل النصية، يدردشان عند النوافذ، و تتراقص القلوب على سمفونيات الحب العذبة.

في صباح يوم مشرق يحمل رسالات سماوية تنعش الأرواح، أمسك كل من أفنان و أمجد كتابا يبدو أنهما يحملان نفس الكتاب، قال لها من نافذته:

–" أفنان أفنان افتحي الكتاب على الصفحة ما قبل الأخيرة، وانظري إلى السطر الخامس و أكرميني برأيك فيه"

– "حسنا سأرى ..مم ..ماذا، مكتوب هل تتزوجين بي و ترضي بأن تكوني رفيقة روحي لكل ما تبقى من عمري ؟ نشيخ معا، نموت معا ، نستيقظ معا، نغني معا.."

– ههه سطر رائع يا أمجد ذوقك مميز ، أظن أن عليك النظر للسطر الذي يليه"

– " أمهليني دقيقة؟ مكتوب فيه: نعم أقبل أن أهرم معك إلى آخر أنفاس حياتي "

فابتسما كلاهما و قالت أفنان بحماس وتوتر :

–" مم ..ماذا يعني هذا يا أمجد ؟ هل هذا يعني أننا.. يعني نحن سوف.. أقصد.."

–" أجل أجل عزيزتي أفنان نحن سنتزوج، فقد قلت لك سابقا وسأعيدها؛ أولا أنا أحبك يا ألوان حياتي الزاهية، ثانيا أحبك يا روح روحي الحانية، ثالثا و أخيرا سأبقى أحبك حتى لو بقي لأنفاسي ثانية "

رفرف قلب أفنان بجناحين أحمرين وانفرجت أساريها، ضحكت من أعماقها وحلقت بفرحتها، حينها صاح أمجد بصوت هز كل الحي، صاح و ردد :

–" يا جيرااان يا سكان هذا الحي نحن سنتزوج، أجل سنتزوج !! "

قالت أفنان باحتشام :

–"حسنا لا تصرخ يا أمجد فلنشرع بالتجهيزات سريعا فروحي تواقة للقاء روحك "

قام كلاهما بتحضيرات سريعة للزفاف فقد آن أوان اقتران الأرواح تحت سقف واحد على سنة الله و نبيه؛ قام عرس يذكر في كل الألسنة، شهدته الأشجار والزهور وكذلك الشمس والغيوم على أنغام العصافير المحلقة المتراقصة و التقطوا صورة جماعية لهما رفقة كل من شهد حبهما، و كذا الأطفال الصغار الذين حجزوا معا في يوم مضى. استوطنت السعادة قلوب الجميع واستقرت هناك مدى الحياة.

هذه ليست حياة .. نجوى خالد .. الجزائر

أقف على حافة الطريق حافية القدمين، أرتدي فستان الشقاء وأحمل على ظهري أثقال وهموم العالم وأنا بنت الاثني عشر ربيعا. لم أدرس، ولم أعرف كيف يحمل القلم، كان حلمي منذ صغري محفظة وكتب وأقلام وكنت أتمنى أن أصبح مدرسة، لكن اغتيلت طفولتي وحكم على أحلامي بالإعدام، ولم يعد للمستقبل مكان في حياتي، احترفت مهنة التسول وزينت وجهي بملامح الحزن حتى يرأف المارون بي ويمنحوني مالا أو طعاما، وأحيانا أسرقهم إن لم يعطوني شيئا هكذا علمتني أمي، بعد أن خذلنا أبي ورحل متهربا من مسؤولياته تجاهنا أنا وأخوتي وتركنا للزمن يعبث بنا كما يريد. كنت التقي به وهو مخمور يتلاطم وأسوار المدينة وينام أحيانا في الشارع، وإذا رآني ينظر إلي بنصف عين وكأنه لا يعرفني، لم أعرف حنانه ولم أتذوق عطفه، كان بالنسبة لي غريبا اسمه أبي، كنت يتيمة لأب حي .

في بيتي القصديري أنام كل ليلة، وسط كومة تبن أفترشها وأتغطى بها، أو بالأحرى أدخل وسطها كشرنقة حتى لا يأكل البرد عظامي وينهشه الصقيع، فأحتضن نفسي ودموعي الباردة تنزل على خدي كقطع الجليد، وأستيقظ بين الحين والآخر على سعال

إخوتي، سعال يصاحبهم طيلة ليالي الشتاء الطويلة، ثم أغفو مع موسيقى الأمطار المتسربة من السقف وهي تقطر في الدلاء التي تضعها أمي تحت كل ثقب حتى يحل الصباح. فأنفض التبن عن وجهي وشعري الأشعث الذي دخلت خصلاته في بعضها، فأصبح كأسلاك شائكة، وأضع قدمي على الأرض فتصدر صوت كصوت طرق الحديد فقد تحدبت وانفجرت بالدماء من كل صوب ، ثم انطلق إلى عملي ومعدتي تصدر أصوات النحيب وهي في حرب مع الجوع الذي اخترق جدارها ومزقه، فأضع يدي عليها لأسكتها وأنسى شكواها، وأمد يدي لكل مار مرددة بعض الكلمات التي حفظتها : لله يا محسنين ،صدقة تقيك من النار؟

البعض يرأف بي ويعطيني بعض الدنانير، والبعض يدفعني كي يزيحني عن طريقه، والبعض ينظرون لي نظرة شفقة، وحين ينتهي يومي البائس أعود مساءً لأحمل لأمي ما جنيته حتى يأكل إخوتي الصغار .

وفي يوم بارد وممطر خرجت كالعادة إلى عملي وقد أخذ البرد من جسدي النحيل نصيبه، فمررت صدفة بمحل لبيع الألبسة الشتوية لفت انتباهي فتوقفت، وأنا أرتعد من البرد، رأيت دمية تلبس معطفا فضحكت ونظرت إليها وخاطبتها قائلة : ألا يجدر بي أن أكون مكا**YU–RS** " نك وألبس معطفك، ماذا يحدث للدنيا لو كنت أمتلك معطفك؟ ونظرت إلى زجاج المحل؛ كان مرآة رأيت نفسي فيه وقد بلل المطر وجهي وبدأ يزيل

سواد الفحم الذي يغطيه، فحاولت مسحه بفستاني الممزق الذي أصبح كجلد قديم تفوح منه رائحة الدخان والتبن وحتى رائحة العفن، فجسدي منذ شهور لم يعرف حماما، مسحت وجهي ونظرت إليه وقد بدت ملامحي جميلة، وتخيلت نفسي نظيفة ومرتبة، وشعري مسرح وينزل على كتفي مثل البنات في سني، وأقف مع أبي وهو يدللني ويخيرني أي معطف سأشتري، ودخلت عالم الأحلام وأحسست بالسعادة ثم بدأت أدور وأتخيل نفسي ألبسه حتى أني شعرت بدفئه. وفجأة داهمني صاحب المحل وهو يدفعني صائحًا: اذهبي من هنا؟ وقعت على الأرض وبكيت. وسرعان ما وقفتُ مغادرة المكان بثيابي المضرجة بالطين، ولكن شيئًا غريبًا راعني آنذاك: الدمية كانت تبكي!

انتخابات جسد .. خالد حمدي .. مصر

على رنين صوت المنبِّه يقوم ابراهيم الذى بلغ الثلاثين من عمره متعجبا أنه استيقظ، فكان ككل يوم ينام لينتظر الموت لا لينتظر يوما جديد.

***

يحتسى القهوة، يغسل وجهه، يرتدى ملابسه.

يصل للعمل الذى كان يراه كوكر للثعابين، يقابل زميله فالعمل أسامة أو كما يطلق عليه العصفورة، فيبتسم له ويكمل المسير لمكتبه فهو يخاف التكلم معه فقد يذل لسانه ويصل ما قاله للمدير.

بينما يجلس ابراهيم على مكتبه يشرد عن الواقع فورا ويسمع صوتا بداخله يخبره: "عليك أن تتحمل جميع زملائك بالعمل فإن لم تفعل لن تكمل في هذا العمل، ولن تجد المرتب رغم أنه ضئيل وليس هناك عمل غيره".

يهمهم إبراهيم في نفسه: اصمت أيها العقل الأحمق، لم أطلب رأيك لماذا دائما لا تفهم أيها العقل الأحمق آرائك مثالية ولكن صعبة التنفيذ، لأنك لا تنظر لزميلتك المشاعر، التي لن تحتمل إكمالي لهذا العمل، ولا تحترم زميلتك المعدة التي تريد إفطارا الآن، الحل الأمثل هو الذى يناسبك و يناسب زملاءك في الجسد .

عقل إبراهيم: اللعنة عليك أنت مجرد ديكتاتور لعين فلتفعل ما تشاء .

المعدة : كفوا عن المشاكل أريد طعاما أيها الحمقى .

يقوم إبراهيم يطلب الإفطار، يفطر ثم يعود للمكتب ليجد مديره الأستاذ حسام واقفا بالقرب منه، كان إبراهيم مترددا في أن يذهب ليلقي التحية عليه أم يجلس ويصمت ليخيل له خياله أنه إذا ذهب وألقى التحية عليه، قد يخبره بالموافقة على الإجازة التي طلبها، فيذهب ليجد الأستاذ حسام يعاتبه على تكاسله في عمله مؤخرا، وسمع إبراهيم صوت خياله بداخله و هو يقول له: أحمق..

فاستشاط إبراهيم غضبا ولم يرد بحرف على معاتبة الأستاذ حسام له، وعاد لمكتبه فاقدا الأمل في قبول طلب الإجازة وينظر في ساعته ليجد دوام العمل قارب على الانتهاء، فينهمك في بعض العمل لديه حتى ينتهى منه.

يخرج من مبنى العمل العتيق ليعبر الطريق ليجد زوجته "كلارين" تتصل فيرد بحمية عليها : ماذا تريدين يا كلارين ألم أترك لك السيارة اليوم؟!

لترد كلارين عليه : ما بك؟ كنت أريد أن أحدثك أنى وجدت عمل في مؤسسة تعليم لغة فما ردك؟

لتزداد رأس إبراهيم سخونة وينفعل: ما الذى يروقك في العمل؟ العمل كله ثعابين ومجهود وضغط عزيزتي، دورك الأساسي في بيتك لتعتني به وتعتنى بأولادك، فلماذا تريدين زيادة الضغط النفسي والعصبي على عاتقك وتخرجي لسوق العمل اللعين، أنا لا أمنعك ولكن أخاف عليك .

فضاقت نفس "كلارين" من رده وأخبرته : حبيبي هل تحتمل الجلوس فالبيت طوال وقتك، وتكون حياتك كلها داخل البيت، أنت لا تخاف علي، أنت في الأصل لا تكترث لأمرى، أنت حتى لا تتحدث إلى بحرف قبل النزول للعمل، وتأتى للمنزل لتنام أهذه حياة! أنت تدمر حياتك وحياتي. تغلق "كلارين" المكالمة .

لتصعق كلماتها نفس إبراهيم ويعيش صراعا بين العقل الذى يشجعه على العودة للمنزل والنوم للاستعداد للعمل غدا، وبين نفسيته ومشاعره يشجعونه على الاستفاقة والاستماع لزوجته وأخذ راحة من العمل بأي طريقة، فنفسيته ومشاعره لم يَحْظَيَا براحة منذ أعوام، العمل ثم العمل ليرد إبراهيم على عقله قائلا: كعادتك أيها العقل أناني في حلولك ولا تكترث لأمر المشاعر أو النفسية ولثان مرة في حياة إبراهيم يتحيَّزُ للمشاعر ضد العقل.

في الطريق للأسكندرية وبينما إبراهيم يقود، يرمي طفلتيه "آثر" و"داليا" بنظرة ليجدهما في غرقتين في نوم عميق وكذلك زوجته ""كلارين لكنه لأول مرة في حياته يرى طفليه وهما نائمين مما يشعره بتأنيب الضمير، فقد كان يراهما لوقت قليل في الأسبوع وهما يلعبان ليقول إبراهيم: لقد أيقظت في الكثير أيتها المشاعر، شكرا لك لتستيقظ زوجته "كلارين" على صوته وتسأله ماذا تقول: فقال لها كنت أقول أننا قاربنا على الوصول.تنتهى الإجازة ويعود إبراهيم لمنزله ليمسك بورقة وقلم ويكتب اليوم الحادي

عشر من فبراير عام ٢٠١٦ حصلت على إجازة لمدة أسبوع لأول مرة منذ عام ٢٠٠٨ أحصل على إجازة نعم هذا صحيح.

بينما إبراهيم يكتب يذكره عقله أن هذه الإجازة دون إذن الأستاذ حسام فيعم الحزن إبراهيم ويتوقف عن الكتابة .

بينما وهو في طرقه للعمل كان يفكر في العقوبة التي سينالها من الأستاذ حسام ومدى شدتها، فيدخل لمبنى العمل وهو شارد عن الواقع، يفكر فقط في العقوبة ليجد الأستاذ حسام أمامه غاضبا.

–"ماذا كنت تفعل! أتظن أن الأمر سيمر مرور الكرام، لقد تسببت بكوارث في العمل بتغيبك، لكل هذه المدة ولولا وجودي لتخطى الأمر حد الكوارث، ستعمل لمدة شهرين بدون راتب، وأريدك أن تنسى الحوافز والمكافآت لمدة عام كامل على الأقل، وإن كان هذا لا يعجبك يوجد خيار أفضله وهو أن تأخذ أمتعتك وتترك العمل.

ينهى إبراهيم دوام عمله فيعود للمنزل ومازال يشعر بإحراج شديد من الموقف الذى وضع نفسه فيه لأول مرة في حياته أمام الأستاذ حسام، فمن شدة إحراجه لم يستطع الرد بكلمة، وكان كطفل صغير ينال التوبيخ أمام موظفي الشركة.

–عقل إبراهيم: لا أكذب عليك إن أخبرتك أنني أريد القفز خارج رأسك فرحا وسعادة بما حصل لك.

فلا يرد إبراهيم على عقله وإنما يستمر في الاستماع للمشاعر، ويداعب أطفاله ويلقى التحية على زوجته.

يدخل إبراهيم غرفة العمل الخاصة به ويغلق الباب ويقول في نفسه: "من خلال ما رأيته من اعتمادي على المشاعر بدلا من العقل قررت الآتي:

استخدام المشاعر بدلا من العقل، بالرغم التوبيخ الذى حصلت عليه، فأشعر بأن جسدي في راحة بفضل المشاعر.

ليصيح عقله : أنت ديكتاتور.. ديكتاتور لعين.

ليرد إبراهيم عليه قائلا: كنت أعرف أن هذا سيكون ردك ولكن كان يجب أن تتركني أكمل حديثي، قررت أيضا إقامة انتخابات جسد بين العقل والمشاعر ومن سيفوز سأستخدمه في اتخاذ القرارات، ولكن أنا أعلنها صريحة أنا أتمنى أن تفوز المشاعر.

ليصيح عقل إبراهيم مرة أخرى: أنا أرفض لن أترشح لهذه الانتخابات، أنا منسحب ليس من الانتخابات فقط، وإنما من حياتك أيضا.

ليضحك إبراهيم قائلا: أنت تنسحب لأنك تعرف أنك من المستحيل أن تفوز، فمن سينتخبك من الجسد؟ فالجميع في الجسد يراك ديكتاتورا أنانيا لا تستطيع حتى اتخاذ قرارات سليمة، بينما المشاعر تمثل لهم جزءا منهم، عاشت معاناتاهم منك ومن قرارتك .

ليصيح أعضاء الجسد: نتمنى أن نرى المستقبل وما سيحدث فنحن نشعر بأن هذه القرارات هي سبيل النجاح.

الخامس والعشرون من فبراير عام ٢٠١٧ يحدث إبراهيم نفسه قائلا: ها قد مر سنة على الانتخابات والاعتماد على المشاعر، ليراجع إبراهيم نفسه ليجد نفسه أتخذ قرارات أدت لكوارث ومشاكل برغم من أنها تجعله مرتاحا.

يقول إبراهيم : لماذا أشعر بالضعف اجتاح جسدي؟

أصبحت أنال الكثير من التوبيخ في عملي للإهمال، وقد أصبح لدى صفات أنثوية أيضا بعض الشيء.

ليرد إبراهيم على نفسه: اللعنة لكل هذا المهم راحتي وراحة جسدي.

يذهب إبراهيم لزيارة والدته التي تسكن في إحدى المناطق البعيدة الشبه صحراوية.

يقول إبراهيم في نفسه: ما أجمل هدوء المكان؟ ليسمع صوت دراجة نارية.

يصيح شخص على دراجة نارية اقترب من سيارة إبراهيم : توقف توقف و إلا قتلتك.

ينهار إبراهيم و يقول: اللعنة لا أعرف ماذا أفعل اللعنة لا أستطيع تحريك جسدي من هول الموقف! فيسمع صوتا لم يسمعه منذ زمن طويل.

يصيح عقل إبراهيم: اهدأ وحرك تلك السيارة اللعينة، إياك أن تتوقف أو تخاف.

فينفذ إبراهيم قرارات العقل ويقول: هل مازالوا ورائي؟ هل أطلقوا الرصاص لما لا أكون ميتا الآن؟

ليقول له عقله: لقد ابتعدوا، فقد استطعنا الهروب منهم ولم يتمكنوا من ملاحقتنا والآن توجه لمركز الشرطة مباشرة .

الثامن والعشرون من فبراير عام ٢٠١٧، يجلس إبراهيم مع نفسه في غرفة العمل وقد علت أصوات جسمه اعتراضا على جبن وخوف المشاعر في الموقف الأخير.

يصرخ أحد أعضاء الجسد : لا نقبل أن يكون حاكمنا بهذا الضعف.

فيصرخ إبراهيم داخل نفسه : الصمت أريد صمتا.

ثم يكمل حديثه : لقد كنت أحمقا وأسأت معاملة العقل، فالجميع هنا يخاف على الجسد ويريد حمايته بما فيهم العقل، ولكن من وجهة نظره وطريقته التي قد لا تعجب الآخرين، فلكل منكم دوره، ولكن إذا أتخذ أحد أعضاء الجسد أيا كان قرارات ليست من اختصاصه تأتي المشاكل، وأنا هنا لضبط هذا الجسد وتحديد اختصاص كل عضو واستخدامه في اختصاصه والأهم هو اتخاذ القرار بما يطابق الالتزام الديني .

ليقاطعه العقل : فلنكن أسرة واحدة.

ليكمل إبراهيم حديثه : قررت الآتي:

أولا: عودة العقل للجسد، وعودة الجسد للعقل، فلا جسد بدون عقل ولا عقل بدون جسد، ولا جسد بدون مشاعر ولا مشاعر بدون جسد، وكما قال العقل جميعنا أسرة.

ثانيًا: القرار بيدي منذ بداية تلك اللعبة و دوري هو تحديد اتخاذ القرار بالمشاعر أو العقل حسب الاختصاص، ولكن أنا من تخليت عن واجبى و أهم شيء ألا يخل قراري بالالتزام الديني، وهكذا أكون أديت واجبى أنا أيضا.

ليصيح أعضاء الجسد: نتمنى أن نرى المستقبل وما سيحدث فنحن نشعر بأن هذه القرارات هي سبيل النجاح.

الخامس من أبريل ٢٠١٧..

عقل إبراهيم: ما رأيك بتقليل النوم اليوم لمضاعفة العمل؟

لتصيح المشاعر : أرفض هذا أريد الراحة.

فيضحك إبراهيم ماسكا رأسه ويقول:

– اللعنة إنها طبيعة جسد ولكنها تثيرني وتسليني.

مشروع تخرج .. أحمد صلاح .. مصر

وقف أمام باب شقته يلهث ككلب أنهى سباقه للحصول على رشفة ماء ولم يحصل عليها، دقات قلبه يسمعها كطبول في حفل زفاف أفريقي؛ فصعود ذلك السلم القديم سبعة طوابق مشكلة لحسن، دس المفتاح في بابه بيد مرتعشة باردة كقطعة ثلج ملقاة في أعماق محيط متجمد ولم تذب، تغمره نافورة عرق تدلى من أنحاء جسده.

دخل شقته الصغيرة المميزة بأثاث قليل، منضده صغيرة وتلفاز وأريكه عريضة للنوم، أخرج من حذائه بعدما أغلق باب زنزانته عليه تذكرة هيروين، تلك الأداة التي طالما تحتل جسده وتدمر حصونه، تلك النشوة القاتلة التي تشعره دائما إنه لن ينتمي لهذا العالم البغيض من وجهة نظره..

ها هو حسن؛ الشاب الذي كان مثال الأدب والالتزام، يسند ظهره لإحدى جدران الشقة المشققة، لون أبيض يميل إلى السواد، منضدة عليها فضلات نشوته السامة، طبق صيني صغير يملؤه التبغ وورق "البافرة"، معلقة كبيرة بجانب قطع ثمار ليمون وكوب من السكر تحاصره حقن مستعملة موضوعة فوق تذاكر هيروين فارغة. أصبح حسن شبه حسن، سكون تام، وعيون تميل حمرتها إلى دم غزال مذبوح، عيون يأكلها الأرق ويسكن جوفها

القلق، وبعدما أكل سيجارته المسمومة بأعشاب الحشيش، لم ينتظر وأمسك بأخرى بعدما انتزعها من أعماق علبته البيضاء، أراد أكلها هي الأخرى؛ فذلك الأسد بداخله لم يشبع بعد، لكن قداحته لم تساعده برغم امتلائها بالغاز، وبعد عدة محاولات بائسة نفذ صبره وألقى بها صوب الحائط ليحطم رقما قياسيا جديدا في تحويل الولاعات إلى أشلاء صغيرة، حاول الوقوف، وبصعوبة فعل، ومن ثم ألقى بنفسه ناحية الباب ليفتحه ولكن لم يفعل، أبتعد عن الباب وتوجه للمطبخ في تمايل جسده يمينا ويسارا، كورقة قمامة وسط عاصفة مميتة، كميت أستيقظ من موته ولا يعرف أين يذهب، اوقفه استيقاظ تليفونه الراقد في بطون الأريكة بصوت رنينه المزعج، يخبره أن أخوه يتصل، أخوه الذي طالما أخبره أن يبتعد عن طريقي ويتوب ،أخوه الذي ما زلت أتمنى أن أجنده وأضمه لجيشي ولكني لم أستطع ،ولا يهم فأنا لدي حسن.. خير جنودي،

إنه مثال بسيط على براعتي وذكائي وقدرتي الجبارة، حسن بالنسبة لي مشروع تخرج في كلية هندسة أو رسالة دكتوراه أقدمها لسيدي القدير ليفتخر بي ويعلم إنني تلميذه النجيب، ولكني خائف، فرغم سيطرتي عليه كقط يتلاعب بفأر ضعيف في إحدى زوايا الحلبة قبل أن يلتهمه.. أخاف أن يفلت ذلك الفأر ويهرب، أخاف أن تنتهي روايتي الجميلة والممتعة بنهاية كريهة لا تعطيها قيمة بقدر مسك أحداثها التي جذبت القراء.

توقف أنين صرصور الحقل عندما توقف التليفون عن الرنين، وحسن مازال واقف في مكانه لا يعرف ماذا يفعل، كعصا هزيلة مغروسة في حقل تربته ممتلئة بالماء، كم أتمنى أن تخرج روحه الآن وتذهب لموضعها ومكانها الصحيح مثلما ذهبت روح أبي لهب، صديقي المقرب، وخير مشروع أفتخر به، حان وقت تشغيل التلفاز لكي يكمل حسن برنامجه اليومي في مشاهدة بضع قنوات القمر الأوروبي، يزيد لعيونه الحمراء متعه على متعة، مد حسن يده وشغل التلفاز، ولكن ما هذا؟! قناة قراءة القرآن؟! أين جهاز التحكم؟! ابحث عنه يا حسن، وأبعد هذا الصوت عني، آية كأنها إشارة لحسن بأن يتوب "-:إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)

صدري يتآكل كحلقة نار في هرم حطب قديم، حسن قام بتغير القناة! كم أنت فأر مجيب لقطهِ، والآن حان الوقت يا عزيزي لجرعة أخيرة، جرعة تأخذك لعالم ثان، تذهب وتنتظرني حتى أعود لك بآخرين، حان وقت إنهاء رسالتي لأقدما لسيدي، حان وقت نهاية روايتي، نهاية كم أريدها أن تتحقق في كل رواياتي، حان الوقت للقط الجائع بأن يلتهم فأره الضعيف، تلك النهاية التي أنتظرها منذ سنوات، منذ أن عرفتك وأصبحنا حلفاء، كم اتعبتني كتابة تلك الفصول الماضية لأصل للفصل الأخير، الفصل الذي

يكتب فيه نهايتك، النهاية الأمثل لحسن وبني جنسه، حان وقت متعتك الأخيرة لأحصل أنا على متعتي.

جلس حسن في أحضان منضدته ومد يده ليمسك بتذكرة هيروين، تلك كانت الأخيرة بعد أن أنهى الأولى والثانية والثالثة وما إلى ذلك، انقض عليها كانقضاض نمر جائع على قطيع من الغزلان، استنشقها دفعة واحدة ليحصل على نشوته، ابتلعها كما يبتلع الحوت الأزرق الأسماك الصغيرة، دقيقة بعمر حسن الذي عاشه بوعيه وبدون وعيه، شعر بحشرجة في صدره، نافورة عرقه زادت كفيضان النيل على مصر القديمة، عرق يتدلى برغم برودة جسده التي تزيد بزيادة سرعة دقات قلبه الذي يريد الانتفاضة من جسده، عيونه التي يختلسها السواد المميت، رأسه التي كادت أن تنفجر من أثر صواعق كهربائية تضرب أعصابه.

أراد حسن أن يغوص في الماء ليستفيق ؛فلقد انتهى شعوره بالنشوة وبدأ يشعر بما هو أسوأ، أسند يداه على المنضدة ووقف ،ثانية كانت كافية لوقوفه قبل أن يحتضن أرضية الشقة بعناق يسمع صوته من يمكث في الطابق الأرضي، رعشة جسده التي تدل على عناقه بأسلاك محطة كهرباء تمول مدن بأكملها لمدة شهرين أو أكثر. أهلا بك يا صديقي القديم أهلا بك يا ملاك الموت، كم انتظرت تلك اللحظة لأحصل أنا على

متعتي ونشوةِ، امتياز مع مرتبة الشرف على مشروع تخرج جديد، ها أنا أديت عملي على أكمل وجه، وانتهت روايتي بنهاية سعيدة إلى اللقاء يا حسن. أراك يومئذ في جهنم.

تم بحمد الله تعـــــــــــــالى..

إلى اللقاء في العدد الثالث ٢٠١٩ ..

مع أرق تحيـــــــــات فريق عمل:

"دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني"

عناوين قصص الكِتاب

1– عزيزتي نايا .. براءة محمد علقم .. الأردن
2– مائدة إلى السماء .. صباح دهيلس .. الجزائر
3– أوتار الحزن .. زكرياء الحداد .. المغرب
4– مجرد شبه .. سهام النجمي .. المغرب
5– فنجان قهوة .. صليحة حمودي .. الجزائر
6– سحرة فرعون .. عبدالله محمد عبدالله .. مصر
7– للخيانة وجه آخر .. فاطمة السادات .. مصر
8– مُصادفة .. مؤمن محمود محمد .. مصر
9– قوارب الموت .. محمد الربعي .. تونس
10– لعنة الصاما .. هارون قاسمي .. الجزائر
11– جاك السفّاح .. داود سعيد .. الجزائر
12– أفكار مرهقة .. محمد الصديق منيخ .. الجزائر
13– عد كما كنت غريبًا .. ياسمين البطل محمد .. مصر
14– أحلام لم يعرفها أحد ..سلمى محمود حامد .. مصر
15– مجانين لكن ظرفاء .. جيهان دانيال .. تونس
16– مجرّد جثّة .. دعاء جقريف .. الجزائر
17– تغريدة حب .. العيدون ريان .. الجزائر
18– هذه ليست حياة .. نجوى خالد .. الجزائر
19– انتخابات جسد .. خالد حمدي .. مصر
20– مشروع تخرُّج .. أحمد صلاح .. مصر
21– من أجل الشهادة .. حسن كشاف .. المغرب
22– مرآة كاذبة .. هشام وهبي .. المغرب
23– حب إلكتروني .. رمضان سلمي برقي .. مصر

قصص وحكايات
مجموعة مؤلفين
قصص وحكايات ٢
دار قصص وحكايات للنشر الالكتروني